

القيم الانسانية في

سيرة الإمام علي بن أبي طالب (ع)

السيد هاشم الموسوي

"من أحب أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فليتولّ علي بن أبي طالب
وذريته الطاهرين أئمة الهدى ومصابيح الدجى من بعده، فإنهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب
الضلالة"

كشف الغمة في معرفة الأئمة ج1 ص98

الاهداء

أهدي هذا العمل المتواضع الى صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه والى والديّ اللذين علّمني منذ نعومة أظفاري حب علي (ع) حيث سرى حبه في لحمي ودمي وعشيقته روعي وارتبط به قلبي فأصبح عشقه مقترنا بحياتي وملازما لي في حركاتي وسكناتي.. كما أهديه الى زوجتي وأبنائي الذين عشنا جميعا نتقاسم المصاعب بسبب ضريبة الارتباط بحبه وعشق دريه، وتضحياته التي جعلتنا نستلهم منه معاني الصبر والذوبان في حب الله.. الأمر الذي شجعني لكتابة هذه الشذرات في حب هذا البطل الذي أبهرتني كل لحظات حياته المليئة بالحب للفقراء ونشر قيم العدالة بين الناس ورفض كل أنواع الظلم والاستتثار بالثروات وتقديم النفس فداء لإعلاء كلمة الحق والعدل والمساواة لتكون كلمة الله هي العليا، والذي حفزني لتأليف هذا الكتاب هو طلب ابني كتاب "الامام علي صوت العدالة الانسانية" وهو يقضي في السجن سبع سنوات حيث منعت ادارة السجن ادخال الكتاب فكان هذا الرفض دافعا لي لأن أعيش مع علي (ع) وليكون ثوبا له للتعويض عن هذا الحرمان..

كلمة لابّد منها ..

من أصعب الأمور التي تمر على الكاتب -إذا أراد إنصافاً- أن يختزل ما يريد الكتابة عنه، فالاختزال هنا تفصير وإرباك بحق القلم، والكاتب الدكتور هاشم سلمان الموسوي أراد أن يبتعد عن الاختزال وهو يتناول شخصية بحجم الكون، فأنى له ذلك وهو يتقصّى خطوات سيرة سيد الأوصياء الإمام علي عليه السلام؟.

كل الأبعاد التاريخية والفكرية والأدبية والاجتماعية والحقوقية جاء بها الكاتب بأسلوب جمع بين الخاطرة الأدبية والشعور النفسي ممتزجا بالمنهج التحليلي المستلهم من التاريخ والمُسفَط على واقع هذه الأمة، هذا المزج سيكون في صالح المتلقي وهو يلتقط الصورة تلو الصورة، والمشهد تلو المشهد بين دفتي الكتاب، ونعود لنؤكد بأن كل ذلك بسبب محاولة الكاتب للخروج من دائرة الاختزال والإيجاز وهي دائرة لا تليق بشخصية عملاقة أثارت هذا الوجود جدلاً في كل زوايا حياته وبعد رحيله الخالد.

مع هذا الكتاب سنرى سيرة هي بالفعل طريق للحقيقة والحياة، وأتمنى على القارئ أن يقرأ الكتاب جملة واحدة وفصل واحد كي لا يختزل المتعة الوجدانية ولا يوجز في الحقيقة.

أ. عادل الفردان

المقدمة

الحديث عن العظماء، يستوجب البحث في أغوار حياتهم والاستلهام من كل تصرفاتهم وسلوكهم سواء أكان عمليا أو نظريا، والحديث عن الإمام علي (ع) ذو طابع خاص، فكلما تعمقت في دراسة حياته كلما شعرت بأتك في أول الطريق.

عندما قررت الكتابة عن حياة الإمام علي (ع) وقفت حائرا، من أين أبدأ، وكيف سيكون طابع الدراسة؟

هل أتبع النهج التقليدي في تتبع حياة الإمام من حيث التسلسل المنطقي منذ الولادة حتى الوفاة، أم يكون لي طابع خاص في هذه الدراسة لكي أجعل القارئ يعيش مع الإمام لحظة بلحظة حاملا معه الشوق الذي يشعر به كل من تناول حياة هذا الإمام العظيم.

تذكرت وأنا أكتب عن حياة هذا العظيم، كلمات المستبصر الدكتور زهير الغزاوي الدبلوماسي الفلسطيني السابق والذي كان لنا شرف اللقاء به في سوريا عند مقام السيدة زينب (ع)، حيث قال:

"أنا أتعامل مع الإمام علي (ع) كصديق، لذلك اشعر بقربي منه في كل لحظة من لحظات حياتي".

لم أدع اليراع يسترسل إلا من خلال ما اشعر به من شوق للاستلهام من حياة إمام المتقين، بل تركت التعبير لمشاعري وأنا اشد الخيطى شوقا لأمير المؤمنين (ع)، ففي كل خطوة درس وعبرة.

ابتدأت بتسجيل خواطري وأنا أشدّ الخطى في الطريق البري من البحرين الى النجف الأشرف حيث يرقد الإمام (ع)، ومن ثمّ تناولت شذرات مما قيل في الإمام علي (ع) سواء مما ورد في القرآن الكريم أو ما جاء في أحاديث الرسول (ص) وبعدها الحديث عن بعض العلماء الذين دفنوا بجوار المرقد المقدّس.

وتناولت نورا من حياة الإمام في الطفولة وارتباطه برسول الله (ص) واستلهامه من الرسول كل القيم الأخلاقية والمعاني الروحية والمعنوية وارتباطه بالحنيفيّة منذ نعومة أظفاره حتّى شبّ وقوي عوده ليكون أول من آمن بالرسالة والفدائي الأول في الإسلام.

ولم تغب شجاعة الإمام (ع) وتضحياته وفضائله وتقواه عن هذا البحث، وكذلك مواقفه البطولية في الغزوات والتي مثّلت فاصلا بين الحق والباطل، وحروبه ضد الناكثين والقاسطين والمارقين.

كما تمّ تناول عدالة الإمام (ع) وقارن حياته وعدالته بحقوق الإنسان في العصر الحديث، ومحاسبه لولائه ومنع الاحتكار ودعوته لنصرة الضعيف والمظلوم وبعض كتبه ورسائله التي شكّلت أساسا لمفاهيم الحق والعدل والمساواة وحقوق الإنسان والاهتمام بحقوق العامل، لو اتبعتها البشرية لعاشت بسعادة وهناء إلى يوم الدين.

الفصل الأول

السير نحو طريق العشق الحقيقي

في الطريق نحو للإمام (ع)

من يعرف الإمام علي (ع) معرفة حقّة يزداد فيه حبّاً وعشقا، فقد ذاب الإمام علي حبّاً في ذات الله، فأورث حبه قلوب المؤمنين والاهلين التائقين للحق والحريّة والحقيقة.

الإمام علي (ع) طريق الحقيقة والحياة.. ولا نبالغ في ذلك بل لم نبتدع جديدا، فلقد أصل لذلك القرآن الكريم ورسول الله (ص) في موارد مختلفة.

الإمام علي (ع) هو الحق الذي يقاس به الإيمان لقوله (ص): "يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا كافر أو منافق"⁽¹⁾.

وقد قال (ع) عن نفسه:

"والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إليّ: انه لا يُحِبُّني إلا مؤمِّنٌ ولا يُبغِضُني إلا مُنَافِقٌ"⁽²⁾.

¹ - سنن النسائي، الإمام أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة 303 هـ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، ط1، سنة 1930م، 1348هـ، دار الفكر، بيروت، المجلد 7-8، ج 8 ص117، ورواه ابن المغازلي في مناقبه (ح225 - 226 ص190) ولفظه: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ان في عهد النبي الأمي (ص) الي انه لا يُحِبُّك الا مؤمن ولا يبغضك الا مُنَافِق .

² - أخرج مسلم في صحيحه، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206 هـ - 261 هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بدون تاريخ، ج1 ص48، وسنن ابن ماجة الحافظ عبد الله بن يزيد القزويني 207-275هـ، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، ج1 ص42 سننه، وأنساب الأشراف، الامام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفى سنة 279هـ، حققه وقدم له الدكتور سهل زكار والدكتور رياض زركلي، بإشراف مركز البحوث للدراسات، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، 1417هـ، 1996م ج2 ص383

ولا غرو فان المنزلة التي نالها الإمام علي (ع) من رسول الله (ص) أهلته لأن ينال مقاما عاليا أصل له القرآن الكريم حين ذكر أخوة هارون لموسى والاستحقاقات التي تستتبع هذه الأخوة العظيمة من وزارة بعده، والاستعانة به في الشدائد وإشراكه في الأمر، ولعل الاستثناء الوحيد في هذه الشراكة بين هارون وعلي أن النبوة قد انقطعت بعد الرسول (ص) فأصبح عليّ إماما مفترض الطاعة، وقد نقل ابن ماجة: حدثنا محمد بن بشار عن محمد بن جعفر عن شعبة عن سعد ابن إبراهيم، قال سمعت إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص يحدث عن أبيه عن النبي (ص) أنه قال لعليّ "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى" (1).

وقد قال الإمام علي (ع):

"أنا عبد الله وأخو رسوله (ص) وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب، صليت قبل الناس لسبع سنين" (2).

¹ - سنن ابن ماجة الحافظ عبد الله بن يزيد القزويني 207-275هـ، ج1 ص42-43، وأخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن، الحديث 3503 حدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن سعد قال : سمعت إبراهيم بن سعد عن أبيه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، و كتاب جمل من أنساب الأشراف، الامام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي سنة 279هـ، حققه وقدم له الدكتور سهل زكار والدكتور رياض زركلي، بإشراف مركز البحوث للدراسات، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، 1417هـ، 1996م، ج2، ص 346

² - سنن ابن ماجة الحافظ عبد الله بن يزيد القزويني 207-275هـ، ج1 ص45 رقم الحديث 120، المستدرک علی الصحیحین، کتاب معرفة الصحابة، ج3 ص121 رقم الحديث 4584

رحلة العشق للإمام (ع)

كان تاريخ 29 يناير 2015 يوماً هاماً بالنسبة لي، إذ كنت على موعد مع رحلة العشق الحقيقي، رحلة طالما تعلق بها قلبي وأصبح يهواها، نعم إنها رحلة إلى من لا تحلو الحياة إلا بحبه وعشقه..

إنها رحلة إلى زيارة أمير القلوب وحببيها أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع)، وتعبها زيارة إلى أرض الكرامة والعز والإباء حيث يرقد الإمام الحسين (ع) وأبو الفضل العباس (ع) وأصحابهما.

عندما تنوي زيارة الإمام علي (ع) وأبنائه في الأراضي المقدسة بالعراق فانك تشعر بحال من الاستقرار النفسي والطمأنينة التي لم تعدها من قبل، إنها أيام استثنائية تلك التي تتواجد فيها على أرض النجف أو كربلاء أو أي من الأراضي المقدسة بالعراق.

في هذه البقاع دُفن الحق ودفن العلم والعزّة والكرامة، ودُفنت الشجاعة والكرم والعطاء، ويسعى المؤمنون لها للاستلها من تلك القيم الإنسانية والإسلامية الرفيعة.

في هذه البقاع حدثت ملاحم إنسانية، علّمت البشرية جمعاء طريق الحقيقة والعزة والكرامة، طريق العشق الحقيقي للذات الإلهية، طريق السمو النفسي الذي يجعل الإنسان يخلّق بروحه متغلباً على شهوات النفس والجسد.

السير نحو الأمير (ع)

منذ اللحظات الأولى التي تتجهّز فيها للسفر للإمام (ع) ينتابك الشعور بأن هناك ظلّالا من رحمة تحوطك، وأنت كلما اتجهت ناحية النجف الأشرف عدّة خطوات فأنك تقترب أكثر إلى الاعتناق من حال التعلّق بالدنيا إلى حال السمو الروحي والنفسي الذي صوّره لنا الإمام (ع) في خطبته المشهورة حين سأله همام بأن يصف له المتّقين، فانطلق الإمام يتحدّث وروح همام تتفاعل وتسمو وهي تسمع من الأمير يتحدّث وقد تعلّقت روحه بالله تعالى فكأنّه يصف شفافيّة الروح وهي تسمو شوقا وحبّا للقاء خالقها حين يقول:

"لو لا الأجل الذي كتب الله عليهم، لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقا إلى الثواب، وخوفا من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنّة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة، وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة، صبروا أياماً قصيرة فأعقبتهم راحة طويلة"⁽¹⁾.

وفي الحقيقة لا تعرف كيف سيكون اللقاء عندما تصل إلى مقام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، تلكم الشخصية الفذة التي عجز الواصفون عن وصفها حتى ذاب فيه قوم ووصلوا للغلو، وأبغضه آخرون حتى داسوا على القيم الإنسانية والإسلامية بسبب أحقادهم، وبقي آخرون على اعتدالهم في حبه وهم يعلمون بأن عمله في يوم الخندق يوازي أعمال الثقلين إلى يوم القيامة، فهو الذي شيّد الإسلام بتضحياته وخلقه وعلمه وإيمانه، واستحق بحق أن يكون صهرا لرسول الله، وزوج الصديقة الطاهرة فاطمة بنت محمد، وأبا لسبطي رسول الله، ذرية لو حاول النصارى المباهلة معها لمسحوا من على وجه الأرض كما قال رسول الله (ص).

¹ - نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار البلاغة، بيروت، ط2، 1413هـ/1993م، الخطبة رقم 193 ص444

ينطلق بك الباص وكأن كل ما حولك في حالٍ من الخشوع والتسبيح، يحمّلك تحياته وأشواقه إلى الأمير (ع) وكأنّ الجمادات والنباتات التي تمرّ عليها تخاطبك بلسان واحد "بلغّ تحياتنا للأمير" فتتذكّر في تلك اللحظات بأن كلّ الموجودات في هذا الكون قد ألهمها الله تعالى القدرة على التسبيح:

" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ"⁽¹⁾.

وعندما تدخل الحدود فإن أول ما يستقبلك هو تلك المدينة العريقة والتي كانت تضم العديد من أنصار الإمام علي (ع) منذ الفجر الأول للإسلام أنها مدينة البصرة وهي مدينة كبيرة ومشهورة ولها تاريخ يفوق كل المدن العراقية باستثناء الكوفة التي كانت إحدى حواضر العراق منذ القدم وتشاركت مع البصرة في صناعة التاريخ العراقي، إذ كانت البصرة تشترك مع الكوفة بمدرستين نحويتين منذ صدر الإسلام كان لهما إسهاما كبيرا في رفد العالم الإسلامي بالأسس والقواعد النحوية وتخرج منهما العديد من العلماء والفقهاء الذي أثروا على العالم الإسلامي، كما كانت الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية في عهد الإمام علي (ع) وابنه الإمام الحسن (ع) وهي موقع للثورات ضد ظلم الدولتين الأموية والعباسية.

تتذكر كلام صعصعة بن صوحان بأن البصرة واسطة العرب ومنتهى الشرف والسؤدد، وهم أهل الخطط في أول الدهر وآخره، أما الكوفة فهي قبة الإسلام، وذروة الكلام، ومظان ذوي الأعلام⁽²⁾.

تتذكّر الأحنف بن قيس وهو من رجال البصرة المخلصين للإمام (ع) وأنت تمر بهذا المكان، كما تتذكّر كميل بن زياد من الحاضرة الثانية وهي الكوفة، ذلك الرجل الذي مازال صدى كلمات الدعاء الذي سمعه من الإمام تتردد كل ليلة جمعة:

¹ - الاسراء 44
² - مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، المتوفى سنة 346هـ، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط1، 1425هـ، 2005م، ج3 ص39-40

"اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تغيّر النعم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، اللهم اغفر لي كل ذنب اذنبته وكل خطيئة أخطأتها، اللهم إني أتقرب إليك بذكرك واستشفع بك إلى نفسك وأسألك بجودك أن تدنيني من قريبك"

الشعور عند رؤية القبة الذهبية

حين تصل إلى النجف الأشرف بعد طول عناء بسبب وعناء السفر ومشقة الطريق، وتبدو لك القبة الذهبية من بعيد وأنت تدخل في أطراف المدينة، فإن جسمك يقشعر وتزداد روحك شوقاً للقاء، إنها ساعة من ساعات الشوق حتى لتكاد رجلاك لا تحملانك وأنت تترجّل من الباص للقاء أحب الخلق لرسول الله (ص) وأقربهم إليه.

انه الأمير الذي ذاب في حبه جميع الأحرار من شتى اصقاع العالم حتى قال الشاعر المسيحي بولص سلامة:

جلجل الحب في المسيحي حتى

أصبح من فرط حبه علويًا

أنا من يعشق البطولة والإلهام

والعدل والخلايا الرضيًا

لا تقل شيعة هواة علي

ان في كل منصف شيعيا

كيف بك إذن وأنت تدخل إلى هذا الحرم المطهر، فلا تدري وأنت تتدلل وتنادي: "أدخل يا الله" هل سمح لك بالدخول أم أن الذنوب قد حالت بينك وبين قبول هذا الاستئذان..

ولا تعلم هل أنك جئت تخاطب الإمام بقلب قد خلا من كل متعلقات الدنيا وأصبح متعلقاً بالقيم والمبادئ التي نادى بها الإمام، وهل أصبحت تعرف الإمام كما عرفه ذلك الشاعر المسيحي حين خاطب السماء والأرض بهذا البيت العظيم:

يا سماء اسمعي ويا أرض قري

واخشعي إنني ذكرت علياً

وهل يستطيع يراعيك أن يخط الكلم التي تتطلق من القلب في حب الإمام كما فعل المؤلف والكاتب والمفكر المسيحي جورج جرداق الذي ألف كتاباً في الإمام علي (ع) أطلق عليه اسم "الإمام علي صوت العدالة الإنسانية"، استلهم فيه الكثير من القيم والمبادئ الإنسانية من حياة أمير المؤمنين (ع) وأجرى مقارنة بينها وبين مبادئ حقوق الإنسان العالمية وبينها وبين مبادئ الثورة الفرنسية، ليظهر تقدم وتفوق الإمام علي عليه السلام في كل المبادئ والقيم، وأنه يقرن النظرية بالتطبيق والمحاسبة، لذلك توصل الكاتب المسيحي جورج جرداق إلى أن الإمام علي (ع) يفوق البشر العادي ليصل إلى مرتبة الأنبياء.

وقال عنه: إن علياً يمثل في جملة كيانه جانبا عظيماً من العدالة الإنسانية الشاملة، وحين سئل في إحدى المقابلات عن توقف قلمه بعد كتابه عن علي (ع)، قال: لم أجد من هو أهل بعد علي (ع) للكتابة ولهذا عقرت قلمي أن أكتب لشخص آخر.

وفي ختام كلامه قال: "كتبت عن علي ولطالما تمنيت زيارته والالتحاق بركبه فهو منهجي ورجل الحرية والعدل والسلام"⁽¹⁾.

¹ - من نص مقابلة أجراها أمين ناصر نشرت في موقع شفقنا في 13 يناير 2014 ونشرت في موقع وكالة نور الخبرية بتاريخ 14 يناير 2014.

مشهد الإمام علي (ع)

أول ما يطالعك وأنت تدخل إلى الحرم العلوي قبران لعالمين جليلين هما قبر الفقيه الأصفهاني⁽¹⁾ وقبر الشهيد السيد مصطفى الخميني⁽²⁾ ابن الإمام الخميني رحمه الله تعالى الذي تم اغتياله في العراق من قبل السافاك الإيراني بمساندة البعث العراقي.

وعندما تتجه قليلاً قبل المدخل الرئيسي للروضة الشريفة يطالعك على يمينك قبر الشيخ الحلّي⁽³⁾ وعندما تتجه لجهة الغرب يستقبلك قبر المقدس الأردبيلي⁽⁴⁾.

ثلّة من العلماء الذين أسهموا في رقد العالم الاسلامي بالعلم والمعرفة والزهد والتقوى، وعلموا الناس المعنى الحقيقي للعدالة الانسانية كما كانت أيام الامام علي (ع).

¹ - أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد الموسوي الأصفهاني ولد سنة 1284هـ وتوفي 1365هـ. كان علماً من أعلام الدين وإماماً من أعظم أئمة المسلمين وقد انحصرت الرياسة العلمية في النجف لأشرف فيه وفي معاصره الميرزا حسين النائيني وقد في العراق وسائر الأقطار، أنظر أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، حققه حسن الأمين، دار المعارف للطبوعات، بيروت لبنان، 1406هـ، 1986م، ج1 ص 332. وكذلك المرجعية المتميزة، السيد أبو الحسن الأصفهاني أنموذجاً، الشيخ الدكتور عبد الله أحمد اليوسف، ط1، 1432هـ، 2011م، ص17-18، وكذلك أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة 1419هـ- 1998م، ج3، ص 361.

² - برز دور الشهيد في مواجهة النظام بعد اعتقال الإمام الخميني (رض) عام 1383هـ، فكان له دور مهم في حركة 15 خرداد (12 محرم 1383هـ)؛ فقد خطب في أهالي مدينة قم المقدسة وفي صحن فاطمة المعصومة (ع) خطاباً حماسياً، هاجم فيه حكومة الطاغوت واستنكر اعتقال الإمام وشرح للجماهير كيفية الاعتقال.

أنظر الجهاد والشهادة، سيرة الشهداء، شهداء الجمهورية الإسلامية، الموقع الإلكتروني دار الولاية للثقافة والاعلام، 1 أغسطس 2007م.

³ - جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن مطهر الحلّي. عُرف بـ "العلامة" ولد في 29 من شهر رمضان سنة 647هـ، أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج5 ص396

⁴ - الشيخ أحمد بن محمد الأردبيلي، المشهور بـ «المحقق» والمقدّس الأردبيلي، من أشهر فقهاء الشيعة الإمامية في القرن العاشر الهجري، كان عالماً عاملاً محققاً مدققاً زاهداً عابداً ورعاً ولم يسمع بمثله في الزهد والورع، له كرامات ومقامات تُوفي في المشهد الغروي المقدّس بالنجف في شهر صفر سنة 993هـ، ودُفن في الحجرة المتصلة بالمخزن المتصل بالرواق الشريف. أنظر لؤلؤة البحرين، الشيخ يوسف بن أحمد البحراني، المتوفي سنة 1186هـ، ط1، 1429هـ، 2008م، مكتبة فخرآوي البحرين، وأعيان الشيعة، دار التعارف للطبوعات، ج3 ص80

وعندما تتشرف بزيارة أمير المؤمنين الإمام علي (ع) فلا بد أن تتهل من مكتبة الحرم العلوي حيث اطلعت على بعض إصداراتها، ومن ضمن الأحاديث التي قرأتها في إحدى المجالات حديثٌ يتطرق إلى زوار الإمام علي (ع)، حيث يقول:

روى السيد عبد الكريم بن طاووس (رض) في (فرحة الغري) عن الإمام الصادق (ع):

"من زار الإمام علي ماشيا كتب الله له بكل خطوة حجة وعمرة وإذا قفل ماشيا كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين"

هذا الحديث ظلّ عالقا في ذهني وماثلا في دواخلي حين كنت أتحدّث إلى قناة كربلاء، عندما استوقفنا المذيع عند الغروب قبل دخولنا للحرم العلوي ليسألنا عن مشاعرنا ونحن نزور الامام (ع)، فأجبتُه بخاطرة قائلا:

منذ ثلاثين عاما وقلبي متعلق بهذا المكان، لقد كنت أزوره مع الوالد رحمه الله تعالى وأنا طالب بالمدرسة ثم انقطعنا بعد الحرب التي شنها الطاغية صدام على إيران..

والآن أزور العراق من ذات الطريق الذي زرته سابقا وأتذكر كل ذرة تراب نمر عليها.. أتذكر أسماء الأماكن التي نمر بها.. أتذكر مشاهدتنا الأولى للقبة عندما نصل فترتفع الصلوات على محمد وآل محمد..

ومن حسن الصدف أن اقرأ اليوم حديثا عن الامام الصادق (ع) يقول: "من زار الإمام علي (ع) ماشيا كتب الله له بكل خطوة حجة وعمرة وإذا قفل ماشيا كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين"⁽¹⁾.

¹ - تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي المتوفي سنة 460 هـ، كتاب نشر الكترونيًا برعاية شبكة الامامين الحسنين (ع) للتراث والفكر الاسلامي، ج6، باب فضل زيارته (ع)، ص 20

انني هنا وقلبي عاشق للإمام علي أمير المؤمنين (ع) فإذا غادرت المكان ظلّ قلبي متعلقا بعشق الامام حتى أرجع..

انه العشق الحقيقي المنطلق من حب الله تعالى.. لقد ذاب علي (ع) حبا وعشقا لله فعشقناه وأحببناه وتعلقت قلوبنا بعشقه..

نهج أهل البيت وفضلهم في القرآن والسنة

أعتقد بأن من يحكم عقله ويترك عنه التعصب الأعمى لدين الآباء وما درجوا عليه سيدرك بما لا يدع مجالاً للشك بأن أهل البيت (ع) هم الحق الذي يجب أن يتبع وهم عدل القرآن وترجمانه وأن إتباعهم قد أوجبه الله تعالى والرسول (ص) بشكل واضح وصريح.

مقارنة بسيطة بين ما ورد من آيات قرآنية وأحاديث شريفة حول فضائل أهل البيت ووجوب إتباعهم وبين ما ورد في أن بعض أصحاب الرسول (ص) ارتدوا على أعقابهم بعد موته، توضح بأن طريق أهل البيت هو الطريق الناصع وأنهم سفينة النجاة الذين لن يخرجوا الناس من هدى ولن يدخلوهم في ضلالة، وأن المتخلف عنهم هو الخاسر بينما اللاحق بهم هو الفائز..

أولاً: الآيات القرآنية:

آيات قرآنية كثيرة تحدثت عنهم وجاءت التفاسير عند السنة والشيعنة مركزة على حقهم ولكنها تحتاج إلى من يتدبر الأمر بتعقل وموضوعية دون تعصب ليدرك أن الحق معهم وبهم..

سأبدأ ببعض الآيات القرآنية التي لا مجال في تأويلها والهروب من استحقاق نسبتها إلى أهل البيت (ع):

قال تعالى:

(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (1).

¹ - آل عمران 61

أجمع المفسرون أنها نزلت في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين حين أراد أن يباهل بهم نصارى نجران الذين تراجعوا حينما رأوا هذه الوجوه النيرة⁽¹⁾.

ومما جاء في شأن هذه الآية العظيمة والتي تدل على عظمة أهل بيت الرسول (ص) وفي مقدمهم الإمام علي بن أبي طالب (ع) ما ورد في الميزان من بحث روائي حيث يقول:

في تفسير القمي، عن الصادق (ع): أن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله (ص)، وكان سيدهم الأهمم والعاقب والسيد، وحضرت صلاتهم فأقبلوا يضربون الناقوس وصلوا.

فقال أصحاب رسول الله: يا رسول الله هذا في مسجدك؟

فقال دعوهم فلما فرغوا دنوا من رسول الله فقالوا إلى ما تدعو؟

فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأن عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث.

قالوا: فمن أبوه؟

فنزل الوحي على رسول الله (ص) فقال: قل لهم: ما تقولون في آدم، أكان عبدا مخلوقا يأكل ويشرب ويحدث وينكح؟

فسألهم النبي، فقالوا نعم: قال فمن أبوه؟

فبهتوا فأنزل الله: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الآية.

فقال رسول الله: فباهلوني فإن كنت صادقا أنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذبا أنزلت عليّ.

¹ - ذكر القصة بالتفصيل أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراكي في كتاب الرسالة العلوية، في فضل أمير المؤمنين على سائر البرية، تحقيق السيد عبد العزيز الكريمي، ط1، 1427هـ، مكتبة العلامة المجلسي، قم، إيران، فصل فيما ورد من القرآن، ص9، وذكرها الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا، الناشر انتشارات الشريف الرضي، ط1، 1378هـ، مطبعة أمير، قم، إيران، ج1 ص210

فقالوا أنصفت فتواعدوا للمباهلة فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤسأؤهم السيد والعاقب والأهتم إن باهلنا بقومه باهلناه فإنه ليس نبيا، وإن باهلنا بأهل بيته خاصة لم نباهله فإنه لا يقدم إلى أهل بيته إلا وهو صادق.

فلما أصبحوا جاءوا إلى رسول الله (ص) ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (ع) فقال النصرارى: من هؤلاء؟

ف قيل لهم هذا ابن عمه ووصيه وختته علي بن أبي طالب، وهذه ابنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين ففرقوا فقالوا لرسول الله (ص) نعطيك الرضا فأعفنا من المباهلة فصالحهم رسول الله (ص) على الجزية وانصرفوا⁽¹⁾.

ومما يؤيد نزولها في أهل البيت (ع) اتفاق المفسرين من جميع الفرق الإسلامية على ذلك، جاء في تفسير الجلالين:

(فمن حاجك) جادلك من النصرارى (فيه من بعد ما جاءك من العلم) بأمره (فقل) لهم (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) فنجمعهم (ثم نبتهل) نتضرع في الدعاء (فنجعل لعنة الله على الكاذبين).

بأن نقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى وقد دعا (ص) وفد نجران لذلك لما حاجوه به.

فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك.

فقال ذو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا الرسول (ص) وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم: إذا دعوت فأمّنوا فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية رواه أبو نُعيم، وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا، وروي: لو خرجوا لاحترقوا⁽²⁾.

¹ - تفسير الميزان، الطباطبائي، ج3، ص228

² - تهذيب تفسير الجلالين، محمد بن لطفى الصباغ، المكتبة الوقفية، ط1، 1427هـ، 2006م، ص 57

ذلك أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) عملاق هذه الأمة بعد رسول الله (ص) الذي قال فيه يوم الأحزاب:

أبشر يا علي.. فلو وُزن اليوم عملك بعمل أمة محمد (ص) لرجح عملك بعملهم، وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهنٌ بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عزٌّ بقتل عمرو⁽¹⁾.

ولأن شعاع علي قد انتشر في الأرجاء فان هناك من عميت بصيرته بسبب قوة هذا الإشعاع فأخذ ينكر كل فضيلة لعلّي (ع) لأنه يجد بأن جلاء الحقيقة في معرفة شخصية الإمام علي (ع) هو إطفاء للأنوار الزائفة المخالفة له.

أما آية الولاية فقد نزلت بعد أن تصدق الإمام علي (ع) بالخاتم وهو راعع يصلي:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ)⁽²⁾.

روى السيوطي في تفسيره: أخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال: تصدق علي بخاتمه، فقال النبي للسائل: من أعطاك هذا الخاتم، فقال: ذاك الراعع، فنزلت الآية. وأخرج عبد الرازق، وعبد بن حميد، ابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس: أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب⁽¹⁾.

¹ - مجمع البيان، الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1، 1406هـ، 1986م ج8 ص 538

² - المائدة 55

وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال: وقف بعلي سائل، وهو راكع في صلاة تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله (ص)، فأعلمه ذلك، فنزلت الآية على النبي (ص)، فقرأها النبي (ص)، على أصحابه، ثم قال: من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه⁽²⁾.

وآية المودة في القربى هي أشد وضوحاً من الشمس بحيث أوصى الله تعالى نبيه بأن يبلغ الناس بأنه لا يريد أجراً على تبليغه سوى مودة قرياه وهو أمر الهي لا مندوحة عنه:

«قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»⁽³⁾.

يورد صاحب الميزان بأنه قيل في بالمراد في المودة في القربى، مودة قرابة النبي (ص) وهم عترته من أهل بيته (ع) وقد وردت به روايات من أهل السنة، وتكاثرت الأخبار من طرق الشيعة على تفسير الآية بمودتهم وموالاتهم، ويؤيد الأخبار المتواترة من طرق الفريقين على وجوب موالاة أهل البيت (ع) ومحبته⁽⁴⁾.

¹ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور عد الله عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط1، 1424هـ، 2003م، ج5 ص359

² - المعجم الأوسط، الحافظ ابي القاسم سليمان بن أحمد الطبري، (260هـ-360هـ)، قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين القاهرة، 1415هـ، 1995م، ج6، ص218 رقم الحديث 6232

³ - الشورى 23

⁴ - الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة مطبوعات اسماعيليان، قم، ايران، ط5، ج18 ص46

آية التطهير وحديث الكساء:

أما آية التطهير فإنها نزلت بعد أن كسى أهل بيته بكساء وكانوا عليا وفاطمة والحسن والحسين:

عن أم سلمة، قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وكان في البيت علي وفاطمة والحسن والحسين، قالت: وكنت على باب البيت، فقلت: أين أنا يا رسول الله؟ قال: أنت في خير وإلى خير⁽¹⁾.

ثانيا الأحاديث النبوية:

بالإضافة إلى الآيات القرآنية فقد جاءت أحاديث كثيرة عن رسول الله (ص) تبين فضل أهل البيت ووجوب إتباعهم، فقد جاء عنه (ص):

"ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي.."⁽²⁾.

وقال رسول الله (ص) لعلي "أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي"⁽³⁾.

¹ - ترجمة ريحانة رسول الله الامام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام من تاريخ مدينة دمشق، العالم الحافظ ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى 571 هـ تحقيق المحقق الخبير العلامة الحاج الشيخ محمد باقر المحمودي مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، إيران، ط2 سنة 1414هـ، ص 106 - أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن، أنبأنا وأبو النجم بدر بن عبد الله، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا إبراهيم بن مخلد بن جعفر المعدل، أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي، أنبأنا محمد بن سعد العوفي، حدثني أبي، أنبأنا عمرو بن عطية، والحسين بن الحسن بن عطية: عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن أم سلمة، قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وكان في البيت علي وفاطمة والحسن والحسين، قالت: وكنت على باب البيت، فقلت: أين أنا يا رسول الله؟ قال: أنت في خير وإلى خير.

² - صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، المحقق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الامام علي (ع)، دار طيبة، ط1، 1427هـ، 2006م، حديث رقم 2408، ص1130

³ - صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (13 شوال 194 هـ - 1 شوال 256 هـ) / (20 يوليو 810 م - 1 سبتمبر 870 م)، كتاب فضائل صحاب النبي، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن ص250 الحديث 3706، معاني الأخبار، للشيخ ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق المتوفى سنة 381هـ، صححه الأستاذ علي أكبر الغفاري، ط6، مؤسسة النشر الإسلامي، قم إيران، 1431، معنى قول النبي لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى، ص 169، - مجمع الزوائد، الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر بن سليمان الهيثمي المصري، ج9 ص96، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج42 ص 143 حديث 8533، صحيح مسلم، دار طيبة، ط1، 427هـ، 2006م، الحديث 2404 ص 1128

وقال: "النظر إلى وجه علي عبادة"⁽¹⁾.

وقال: "قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة، والناس جزء واحدا"⁽²⁾.

لذلك يقول الإمام علي (ع) في نهج البلاغة: (لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً)⁽³⁾

ولا غرو فان عليًا هو القرآن الناطق، فقد قال رسول الله (ص)

"علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقا حتى يردا عليّ الحوض"⁽⁴⁾.

وقد روى الحاكم النيسابوري بإسناده عن ابن عباس، قال: "قال رسول الله (ص) النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس"⁽⁵⁾.

وقال رسول الله (ص): "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض"⁽⁶⁾.

1 - تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر ج 42 ص 350 حديث 8932

2 - المصدر نفسه، ج 42 ص 384 حديث 8988

3 - نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، شرح الشيخ محمد عبده، ار البلاغة، بيروت، لبنان، ط2، 1413هـ، 1993م، ج 1 ص 84

4 - المعجم الأوسط، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (260-360هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن ابراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر، ط1، 1415هـ، 1995م القاهرة، مصر، ج 5 ص 135 حديث 4880.

5 - المستدرک اعلى الصحیحین، الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1422هـ، 2002م، ج 3 ص 162 كتاب معرفة الصحابة، حديث 4715

6 - المستدرک، الحاكم النيسابوري، ج 3 ص 161 وعلق عليه بأن هذا حديث صحيح الاسناد بشرط الشيخين ولم يخرجاه. معرفة الصحابة، حديث 4715

بعد أن بيّننا فضل أهل البيت، نقارن ذلك بارتداد بعض الصحابة ليتوضّح لنا من الأحق بالإتباع :

جاء في صحيح البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن مغيرة عن أبي وائل قال: قال عبد الله قال النبي (ص) أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي يقول لا تدري ما أحدثوا بعدك⁽¹⁾.

هذا نزر يسير للمقارنة بين ما ورد في أهل البيت وما جاء من أن بعض الصحابة ارتدوا بعد رسول الله (ص) فهل يتبع الإنسان الطريق الواضح أم يتبع السبل ..

¹ - صحيح البخاري كتاب الفتن: 6642

عداء الفكر الأموي لفكر عليّ (ع) وأهل بيته

العصبية الجاهلية عادت وبشكلٍ سريع بعد تسنّم معاوية بن أبي سفيان خلافة المسلمين، وفرض ولده يزيد شارب الخمر خليفة عليهم بالقوة، وتدلّ الأساليب الوحشية في تعامل القوم على أنهم لم يدخلوا في الإسلام إلا ليكيدوا به، ولم يكن دخولهم عن قناعة، بل أصبحوا يكيّدون للإسلام من الداخل ورجعوا إلى جاهليّتهم الأولى والعصبية القبليّة قبل الإسلام، وصارت تتحكّم في جميع تصرفاتهم وتحركاتهم، وليس غريبا أن يهتف من سمّي بخليفة المسلمين، يزيد بن معاوية عند قتل الحسين (ع) وعترة رسول الله (ص) قائلا⁽¹⁾:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحا	ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من اشياخهم	وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل

نعم لقد كانت عصبية جاهلية وكفر صريح وعدم إيمان بالرسالة الإلهية والسنة النبوية، يتمنى أن يشهد أشياخه الذين حاربوا الرسالة في مهدها ووقفوا بوجه محمد (ص) حتى قُتل بعضهم وهم يحاربون الرسالة أمثال عتبة وشيبة والوليد الذين قتلوا بسيف الإمام عليّ (ع) والحمزة وهم من يطلق عليهم نؤبان قريش، يتمنى أن يشهدوا هذا الثأر من محمد من خلال قتل سبطه وعترة وسبي نساءه، ذلك ما أسس له معاوية من فكر ضد الفكر الذي أسسه الإمام عليّ (ع) وهو الفكر الجاهلي في مواجهة الفكر الإسلامي الأصيل.

¹ - البداية والنهاية، الحافظ الدمشقي ابن كثير المتوفي سنة 774هـ، منشورات دار المعارف، بيروت، ط5 1984م، ج8 ص192

ولأنّ فكر معاوية وجد له أنصاراً وتجدّر في نفوسهم لمواجهة الرسالة الإسلامية وقائدها بعد رسول الله (ص) الإمام علي (ع)، فقد انتقموا من أهل البيت طمعاً في الدنيا الزائلة التي لم يهنئوا بها بعد الإمام الحسين (ع)، فكانت خسارتهم مزدوجة، خسارة الدنيا بزخرفها وخسارة الآخرة ونعيمها.

كيف لا يخسر الآخرة وهو ينكر وجود الجنة والنار ويعتبر ما جاء به محمد (ص) مجرد استحواذ على الملك وأنه قد استأثر بهذا الملك، حتى جاء دور الأمويين ليستلموا الملك، فهل هناك كفرٌ بواح أكثر من هذا؟.

ولأسف الشديد ما زال نسل هذا الفكر الجاهلي يتزايد ويحكم البلدان الإسلامية والعربية، ويعتبر ذكر معاوية وولده يزيد بأفعالهم الشنيعة والجاهلية هو نيلٌ من صحابة رسول الله (ص) وكأنّ الحرب على الإمام علي (ع) وقتل عشرات الآلاف واغتيال الإمام الحسن (ع) وقتل الإمام الحسين (ع) وذريته وسبي نسائه ونكران الجنة والنار كلّها من أعمال الدين ومن صميم عقائده.

تاريخ أسود للدولة الأموية ويراد تزيينه وإظهاره بصورة ناصعة إحياء للعصبية القبلية السائدة في الجاهلية، تنفيذاً لمآرب وأجندة طائفية وسياسية وحرب على أهل البيت (ع) ومن يتبعهم، علماً بأن الدين قام على أكتافهم وأرواحهم وبذلوا له كل غالٍ ونفيس حتى يبقى غضاً طرياً وقويّاً ولا تطمس آثاره، هذه العترة التي أوصى بها رسول الله (ص) بأمر من الله تعالى ما ورد في القرآن الكريم:

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (1)

وهم كسفينة نوح التي كانت الفاصل بين الناجين والغارقين، حيث قال رسول الله (ص):

¹ - الشورى 23

"مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك" (1).

هؤلاء الذين قال عنهم الباقر (ع): "نحن شجرة النبوة ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ونحن وديعة الله في عباده.." (2).

من المفارقات أن هؤلاء الذين أوصى بهم الله تعالى ورسوله (ص) وورد ذكرهم في القرآن الكريم أصبحوا محاربين ومطاردين ومقتلين، بينما من وقف بوجه الرسالة منذ يومها الأول واستمرّ في محاربتها، ولم يأل جهداً في محاولة القضاء عليها، ثم دخل الإسلام بعد أن استعصى عليه وصعب القضاء عليه وبعد أن وجده قد انتشر في الآفاق، فأصبحوا يكيّدون له من الداخل، هؤلاء الذين رأهم رسول الله (ص) في منامه فأصابه الغمّ، قال تعالى:

(وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّهُمْ فَمَا بِرِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) (3).

فقد رأى رسول الله (ص) بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء.

هؤلاء الذين أصاب الغم رسول الله حين رأهم في منامه ينزون على منبره نزو القردة، أصبحوا يتحكّمون في رقاب المسلمين ويحوّلون الخلافة إلى ملك، ويمارسون شتى أنواع القتل والاضطهاد ضد عترة الرسول، فعاد الإسلام كما وصفه الإمام الحسين (ع) بقوله:

¹ - كتاب سليم بن قيس تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني، مطبعة الهادي، قم، إيران، ط1، 1420هـ، ص 458: قال سليم بن قيس: بينما أنا وحنش بن المعتمر بمكة إذ قام أبو ذر وأخذ بقلعة الباب، ثم نادى بأعلى صوته في الموسم: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن جهلني فأنا جندب بن جنادة، أنا أبو ذر. أيها الناس، إنني سمعت نبيكم يقول: (مثل أهل بيتي في أمتي كمثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا ومن تركها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل). أيها الناس، إنني سمعت نبيكم يقول: (إنني تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وأهل بيتي...).

² - أنظر بصائر الدرجات الكبرى، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، منشورات دار الأعلمي، طهران، إيران، ج2 ص77

³ - الأسراء 60

"فعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براعٍ مثل يزيد ولقد سمعت جدي يقول الخلافة محرمة على آل أبي سفيان" (1).

وكان معاوية قد أسس لمثل هذا الملك حين قال:

"ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، وقد أعرف أنكم تفعلون ذلك، وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون" (2).

هؤلاء الذين قال عنهم رسول الله (ص) يوم فتح مكة:

"أذهبوا فأنتم الطلقاء"

صار الحكم الإسلامي بأيديهم وهم الذين يطلق عليهم "أبناء الطلقاء" حتى خاطبت السيدة زينب (ع) يزيد ابن معاوية حين سبى نساء الرسالة بقولها:

"أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله (ص) سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ" (3).

لم تمض على بزوغ الرسالة الإسلامية سوى بضع سنوات ومازال أصحاب رسول الله الذين شاهدوه وصحبوه يعيش بعضهم، أي أن الرسالة ما زالت في صدرها الأول ومع ذلك يتسلط على رقاب المسلمين راعٍ مثل يزيد يشرب الخمر ويجاهر بالفسق ويلعب القرود وينتهك الحرمات ويزني بالمحارم، ولقد قال فيه عبد الله بن حنظلة:

1 - مقتل الحسين المسمى باللّهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني ت664هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط1، 1993م، 1414هـ، ص18

2 - مصنف بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، دار الفكر، سنة النشر: 1414هـ/1994م، كتاب الأمراء ج 7 ص 247 ح 4464

3 - مقتل الحسين المسمى باللّهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني، ص106، معالم المدرستين، العلامة السيد مرتضى العسكري، الناشر المجمع العلمي الاسلامي اشرف المنير للطباعة والنشر، ط6، 1994م، ج3، ص199

"فوا الله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إن رجلا ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر وَيَدْعُ الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً"⁽¹⁾.

ومع كل تلك الفضاعات فقد ارتضى المسلمون هذا الخليفة الفاسق بل وساعده على قتل أشرف إنسان على وجه الأرض وسبط رسول الله وسيد شباب أهل الجنة.. يا للعجب، ألا يمثل ذلك رجوعاً لعصر الجاهلية التي لا تراعي حرمة للقيم الإنسانية؟

فبعد تأصيل الإسلام لتلك القيم وتربية النفوس وتركيتها لتنتهل من تلكم القيم الأصيلة التي تجعل الإنسان يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويساعد من يحتاج إليه، ويحرم عليه قتل النفس البريئة بدون ذنب، نرى الأمور قد انقلبت رأساً على عقب وأصبح القتل بدم بارد من أسهل الأمور، والسبي للمسلمات وهتك خدورهن حتى لو كنّ بوزن بنات رسول الله (ص) صاحب الرسالة أصبح من أفضل القربات عند الله، وأصبح من يدعو إلى الخير هو المستحق للقتل بينما القاتل الفاسق ملاعب القرود أصبح أميراً ومقدماً ومقدساً وأوامره ونواهيه تتلقفها الرعية بشغف وتتفّذها بعمى حتى لو خالفت الشريعة الإسلامية.

¹ - معالم المدرستين، العلامة السيد مرتضى العسكري، ط6، 1994م، المنير للطباعة والنشر، طهران، إيران، ج3 ص221

الفصل الثاني

حياة حافلة بالعطاء

الولادة في الكعبة أولى الكرامات

حين جاءها المخاض لولادة الإمام علي (ع) توجهت فاطمة بنت أسد للكعبة المشرفة وانشقت لها موضع الركن المستجار بالركن اليماني لتضع مولودها المبارك في جوف الكعبة، وليكون أول مولود وآخر مولود يولد في هذا المكان المقدس.

إنها كرامة من الله تعالى وأي كرامة أن يكون مقدمه منذ اليوم الأول لهذه الدنيا في أقدس بقعة كرمها الله تعالى وجعلها مثابة للناس.

في الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين عام، توجهت فاطمة بنت أسد إلى الكعبة وقالت:
"ربّ اني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسلٍ وكتب واني مصدقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل (ع) وانه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني لما يسّرت عليّ ولادتي"⁽¹⁾.
فانفتحت لها حائط البيت عن ظهره ودخلت فاطمة فيه، ثم والتزقت الحائط، ولما رأى مجموعة من الناس ذلك، حاولوا فتح الباب فلم يستطيعوا، فعلموا ان ذلك أمر من أمر الله عز وجل. ثم خرجت بعد الرابع وببيدها أمير المؤمنين (ع)"⁽²⁾.

منذ طفولته لم تشغله مباحج الحياة عن التفكير والتدبر في خلق الله تعالى، لذلك لزم النبي محمد (ص) قبل بعثه نبيا، وكان يذهب معه إلى غار حراء يعبد الله تعالى على الحنيفية، وقد احتضنه رسول الله (ص) منذ نعومة أظفاره..

¹ - كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة المحقق أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي ت 693هـ، دار المرتضى بيروت، ط1، 2006م، ج1، ص63.

² - الأنوار البهية في تواريخ الحجج الالهية، عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي، مكتبة الرسول الأعظم (ص)، بيروت، 1983م، ص55

هكذا تربي الإمام علي في كنف رسول الله منذ نعومة أظفاره لدرجة أن كان يمضغ الطعام ثم يلقمه علياً، يقول في إحدى خطبه في نهج البلاغة:

" وضعني في حجره وأنا ولد يضمّني إلى صدره ويكنفني في فراشه . . . وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه"⁽¹⁾.

يقول علي متذكراً تلك الأيام، حين كان يتبع رسول الله (ص) إتباع الفصيل اثر أمّه وحين كان يرفع له كل يوم من أخلاقه ويأمره بالافتداء به، وكيف كان يشم ريح النبوة ويرى نور الرسالة ولم يكن غيره وغير خديجة على الإسلام آنذاك:

" لقد كنت أتبعه إتباع الفصيل اثر أمّه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحرّاء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوة"⁽²⁾.

1 - نهج البلاغة، الدكتور صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط4، 1425هـ، 2004م، ص 300

2 - نهج البلاغة الخطبة نفسها ص 300

الدعاء بمحاذاة الركن اليماني

الطريق إلى بيت الله الحرام، هو طريق تحفّه الروحانية والأمل.. الروحانية التي تتجلّى في الهيبة التي يشعرها المرء داخل البيت الحرام والرحمة التي تظلّه منذ أن تطأ قدماه ارض الميقات، حيث يرتدي اللباس الأبيض ويتجرّد عن المخيط وكأته يتجرّد من كل متعلّقات الدنيا، ليتوجّه بكل قلبه ومشاعره إلى الله تعالى، إلى حيث انطلاق رسالة الرسول (ص) منذ أن كان يتعبّد في غار حراء بعيداً عن الأعين، والأمل الذي يملأ الإنسان بأنّ الحق لا بد وأن يملأ الكون يوماً ما، فالقرآن الكريم الذي نزل في هذه البقعة المباركة يقول:

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (1).

كان بيت الله الحرام هو أوّل بيت وضع للناس، هو البيت المبارك والذي فيه الهدى لكل الناس، وفيه آيات بيّنات منها مقام إبراهيم ومنها الحجر الأسود وحجر إسماعيل، والركن اليماني الذي يحوي موضع المستجار موقع ولادة الإمام علي (ع):

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) (2).

ذلك بيت الله الحرام الذي أمر الله تعالى النبي إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام بوضع حجره الأساس وبنائه، إذ قال تعالى:

(وَإِذِ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (3).

1 - الصف 61

2 - آل عمران 96

3 - الحج 26

إذ كان بيت الله الحرام هو مأوى إسماعيل بعد أن أخذ النبي إبراهيم زوجته هاجر ورضيعها إلى تلك المنطقة
وقال:

(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ
تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (1).

في هذا البيت المعظم وفي هذه البقعة المباركة الطاهرة، كان ميلاد الإمام علي (ع) الذي لم يولد قبله ولن
يولد بعده أحد فيه، فحين جاء المخاض فاطمة بنت أسد أم الإمام علي (ع)، ذهبت إلى بيت الله وانشق لها
موضع يسمى المستجار في الركن اليماني ودخلت بيت الله ووضعت مولودها المبارك الذي أسمته "حيدرة"
وهو اسم من أسماء الأسد، وأطلق عليه رسول الله (ص) عليًا.

وصلنا إلى ميقات قرن المنازل بالطائف "السييل الكبير" قبل الفجر يوم الجمعة بتاريخ 15 يناير 2016م،
وكان الجو صحوا معتدل البرودة، اغتسلنا وصلينا بالمسجد حسب ما ورد في السنة النبوية باستحباب الإحرام
بعد صلاة ركعتين أو ست ركعات، ومن ثم أحرمنا بلباس الإحرام والنية والتلبية، وانطلقنا إلى حيث بيت الله
الحرام بمكة المكرمة.

حين وصلنا إلى بيت الله الحرام ابتدأنا بالطواف سبعة أشواط، وحين نصل بمحاذاة موضع الركن اليماني كنا
نقرأ دعاء "اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن في هذه الساعة وفي كل ساعة، وليًا وحافظًا، وقائدًا وناصرًا
ودليلاً وعينا، حتى تسكنه أرضك طوعًا وتمنعه فيها طويلاً" ولم نسلم حينها من الاتهامات بالكفر والمجوسية.

هذا البيت الذي جعله الله آمناً حتى للطير والحيوان، أصبح الإنسان لا يأمن على نفسه من المتشددّين والذين أصبحوا يكفرون كل ما عداهم ويستبيحون دمه ويدعون إلى حرمان شيعة الإمام علي (ع) من دخوله.

نبوغ الإمام علي (ع) منذ الطفولة

لم تكن طفولة الإمام علي (ع) طفولة عادية فلقد شاء الله لهذه الشخصية العظيمة أن تتربى في حجر أعظم شخصية عرفها التاريخ، محمد بن عبد الله (ص) النبي الأمي القرشي، فلم يكن صدفة أن يصيب قريش آنذاك أزمة قحط مهلكة لدرجة نفاذ أموال الأغنياء وكان أبو طالب ميسور الحال، لكن الجذب الذي أصاب قريش أنهك حاله واستهلك أمواله، فكان الاتفاق على أن يتكفل العباس وأبو طالب وحمزة ومحمد بتربية أحد أبناء أبي طالب فأخذ أبو طالب عقيلاً والعباس طالباً وحمزة جعفرًا بينما كان نصيب محمد علياً.

وكانت تلك فرصة النبي محمد (ص) ليربي علياً على أخلاقه وهي فرصة لعلي (ع) لينهل من رسول الله (ص) كل القيم الإنسانية النبيلة التي لم يصل إلى مرتبتها أي بشر، وقد قال الإمام علي عن تلك التربية: "وقد تعلمون موضعي من رسول الله (ص)، بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا وليد، يضمّني إلى صدره ويكنفني فراشه، ويمسّني جسده ويشمّني عرفه، ما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلَةً في فعل، وكنت أبعه إبتاع الفصيل اثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاعتداء به"⁽¹⁾.

تلكم هي الأخلاق الرفيعة التي استلهمها الإمام علي (ع) منذ نعومة أظفاره من النبي محمد (ص) بحيث كان يتبعه إبتاع الفصيل اثر أمّه ونحن ندرك كيف يكون هذا الإبتاع لعلمنا بأن الفصيل لا يترك أمّه تبتعد عنه بضعة أمتار إلا ويلحق بها، ولا يمر يوم إلا ويرفع له من أخلاقه علماً ويأمره بالاعتداء به، لذلك لم يتعوّد الإمام علي (ع) على الكذب ولم تخرج من فاه كذبة مهما صغرت منذ أن كان وليداً بسبب هذه التربية العظيمة.

¹ - نهج البلاغة، الدكتور صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط4، 1425هـ، 2004م، ص 300

في غار حراء

كان الرسول (ص) يذهب في كل سنة للتعبد في غار حراء وكان يرافقه الإمام علي (ع)، وحين نزل الوحي على الرسول (ص) سمع عليّ رنة الشيطان فقد جاء في خطبته القاصعة:

"ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري...ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه . صلّى الله عليه وآله وسلّم . فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي ولكنك لوزير وانك لعلّى خير"⁽¹⁾.

نلاحظ من كلمات رسول الله (ص) إلى الإمام علي (ع) بأن منزلة الإمام علي عظيمة، فهو يسمع ما يسمعه الرسول مما لا يستطيع البشر سماعه إلا بالقدرة التي يهبها الله تعالى لمن يشاء، ويرى ما يراه الرسول فهو لم يبلغ مرتبة النبوة ولكنه بمنزلة الوزير كما كان هارون وزيراً لموسى.

وكان أول المسلمين..

لم يكن من الغرابة أن يكون أول المسلمين برسالة محمد (ص) عليّ بن ابي طالب، فالتربية التي تلقاها الإمام علي في كنف رسول الله أهله بأن يستقبل هذه الرسالة بحماس قلّ نظيره لإدراكه بصدق محمد وبأهمية الرسالة التي أتى بها للبشرية جمعاء، فحين بشر رسول الله برسالته ودعى عشيرته للإيمان بها كان أول الملتبئين لهذه الدعوة الإمام علي على صغر سنّه فقد اسلم وله من العمر عشر سنين.

¹ - نهج البلاغة ، صبحي الصالح، الخطبة نفسها ص 300 خطبة رقم 192.

عن ابن عباس قال: "عليّ أربع خصال ليست لأحد، هو أول عربي وأعجمي صلّى مع رسول الله، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف، والذي صبر معه يوم المهراس، وهو الذي غسله وأدخله قبره"⁽¹⁾.

من هذا المنطلق كان اهتمام رسول الله (ص) بعلي (ع) لإدراكه بأن هذه الشخصية هي التي ستكون ازرا له في الشدائد، وأن هذه الشخصية ستحمل علمه ووعيه وشجاعته وأخلاقه وكرمه، فقال لابنته فاطمة (ع) يوماً: "أما ترضين إنني زوجتك أول المسلمين إسلاماً وأعلمهم علماً"⁽²⁾.

وقد روى ابن عباس: "نظر عليّ يوماً في وجوه الناس فقال: إنني لأخو رسول الله (ص) ووزيره، ولقد علمتم أنني أولكم إيماناً بالله عزّ وجلّ ورسوله (ص) ثمّ دخلتم بعدي في الإسلام رسلاً رسلاً، واني لابن عم رسول الله (ص) وأخوه وشريكه في نسبه وأبو ولده وزوج سيّدة ولده وسيّدة نساء العالمين، ولقد عرفتم إذا ما خرجنا مع رسول الله (ص) مخرجاً قط إلا رجعنا وأنا أحبكم إليه وأوثقكم في نفسه وأشدكم نكايَةً للعدو واترا في العدو، ولقد رأيتم بعثته إياي ببراءة ووقفته لي يوم غدِير خم وقيامه إياي معه ورفع بيدي، ولقد آخى بين المسلمين فما اختار أحداً لنفسه غيري، ولقد قال لي أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة..⁽³⁾

وأورد الحافظ بن كثير قصة إسلام علي (ع) في البداية والنهاية في فصل أول من أسلم من متقدمي الإسلام والصحابة وغيرهم، حيث تحدّث أولاً عن إسلام خديجة بنت خويلد ثم روى عن ابن إسحاق أن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيوم وهما يصلّيان يقصد الرسول وخديجة، فقال علي: يا محمد ما هذا؟

قال: دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وأن تكفر باللات والعزى.

1 - أخرجه الحاكم في المستدرک ج3 ص120 الحديث 4582..
2 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر بن سليمان الهيتمي المصري المتوفى سنة 807هـ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م، ج9، ص102. الحديث 14669
3 - كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة المحقق علي بن عيسى أبي الحسن الأربلي، ج1، ص77

وحسب رواية ابن إسحاق أن عليًا طلب المهلة حتى يحدث ابا طالب، فأمره الرسول بكتمان الأمر.

فمكث علي تلك الليلة، ثم أن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله (ص)، حتى جاءه فقال: ماذا عرضت علي يا محمد؟

فقال له رسول الله (ص): "تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد".

ففعل علي وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب، وكنتم علي إسلامه ولم يظهره⁽¹⁾.

ولا غرو فان السبق في الإسلام لم يكن عادياً بل سبق الناس جميعاً بفترة طويلة نظراً لعمر الرسالة، فأسلامه قبل الناس بسبع سنين ليس بالأمر العادي، اذ قال (ع): "أسلمت قبل أن يسلم الناس بسبع سنين"

وبذلك استحق المنزلة العظيمة التي قالها رسول الله (ص)، حين اعتبره وزيراً له وأنه منه بمنزلة هارون من موسى، ونحن نعلم بأن هذه المنزلة بين موسى وهارون قد نصّ عليها القرآن الكريم وأكدها: "يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً وأول المسلمين إسلاماً وأنت مني بمنزلة هارون من موسى"⁽²⁾.

وقال رسول الله (ص): "لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى علي سبع سنين، لأنّا كنّا نصليّ ليس أحدٌ معنا يصلّي غيرنا"⁽³⁾.

1 - البداية والنهاية، ابو الفداء الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، 1406هـ، 1985م، ط 6، ج 3 ص 24
2 - ذكر الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر (499هـ-571هـ)، في تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق ابي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر ، ط1، 1417هـ، 1996م، ج 42 ص 16 حديث "الا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى" حديث 8353
3 - تاريخ مدينة دمشق، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر (499هـ-571هـ)، دراسة وتحقيق ابي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر ، ط1، 1417هـ، 1996م، ج 42 ص 39 حديث 8364

وذكرها في تاريخ مدينة دمشق أيضا بصيغة: "صلى عليّ الملائكة وعلى عليّ بن أبي طالب سبع سنين، ولم يصعد أو ترتفع شهادة أن لا اله الا الله الى السماء الا مني ومن عليّ بن أبي طالب"⁽¹⁾.

وقال "أولكم وردوا عليّ الحوض أولكم إسلاما علي بن أبي طالب"⁽²⁾.

أخذ رسول الله بيد علي فقال "ألا ان هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصابحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين"⁽³⁾.

ولأن منزلة الإمام علي (ع) وصلت إلى مرتبة الصديقين فقد قال رسول الله (ص): "الصديقون ثلاثة، حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال (يا قوم اتبعوا المرسلين)، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال (أتقتلون رجلا يقول ربي الله)، وعليّ بن أبي طالب وهو أفضلهم"⁽⁴⁾.

وقد أكد رسول (ص) على خلافة الإمام علي (ع) بعده في أكثر من مورد وكان مما قاله: "علي يقضي ديني، وينجز موعودي، وخير من أخلفه في أهلي"⁽⁵⁾.

1 - تاريخ مدينة دمشق، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر ج42 ص 39 الحديث 8366

2 - المصدر نفسه ج42 ص 40 حديث 8367

3 - المصدر نفسه ج42 ص 41 حديث 8368، وكتاب جمل من أنساب الأشراف، الامام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي سنة 279هـ

1417هـ، 1996م، ج2، ص 362

4 - المصدر نفسه ج42 ص 43 حديث 8374

5 - المصدر نفسه ج42 ص 56 حديث 8392

سليل بيت هاشمي

علي (ع) هو أول هاشمي يولد من أبوين هاشميين⁽¹⁾، وكانت والدته أول امرأة تؤمن برسالة الرسول (ص) بعد خديجة بنت خويلد، بينما كان أبوه أبو طالب هو الحامي لرسول الله (ص) من أذى قريش وهو الذي قال لولده علي (ع)، حين رآه يصلي:

"أما انه لم يدعك إلا إلى خير فألزمه"

وزارة علي (ع) منذ يوم الدار

كان أول لقاء لرسول الله (ع) مع عشيرته حين جمع بني عبد المطلب وكانوا أربعين رجلا، بعد أن نزلت الآية القرآنية:

"وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"⁽²⁾.

فجمعهم رسول الله (ص) وقال "أيكم يكون أخي ووصيي ووارثي ووزير وخليفتي فيكم بعدي"

فلم يجبه أحد، فأعاد ذلك ثلاثا، كل ذلك يسكت القوم ويقول على عليه السلام أنا فقال:

يا بني عبد المطلب هذا أخي ووارثي ووصيي ووزير وخليفتي فيكم بعدي

فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب عليه السلام: أطع ابنك فقد أمر عليك أو قد أمرك أن تطيع لهذا الغلام⁽³⁾.

1 - علي امام المتقين، عبد الرحمن الشرقاوي، ج 1 ، ص 20

2 - الشعراء 214

3 - الميزان ج 15 ص 336، وذكره أيضا بن عساكر في تاريخ دمشق، ج 42 ص 49، حديث 8381

في شعب أبي طالب:

ضاقت قريش ذرعا بمحمد (ص) وعجزت بكل أساليبها عن ثني الرسول (ص) عن دعوته، كما أنها عجزت عن إقناع بني هاشم بالتخلي عنه، فاتفقوا على محاصرة بني هاشم وبني عبد المطلب وحرمانهم من الأكل واللباس تحت طائلة الحصار، حتى يتراجعوا عن دعمهم لرسول الله (ص)، لذلك قاموا بحصارهم في شعب أبي طالب لمدة ثلاث سنوات حتى اضطر بنو هاشم لأكل العشب بسبب شدة الجوع لكنهم لم يتنازلوا عن رسول الله (ص)، ولشدة خوف أبي طالب على رسول الله (ص) وحرصه على سلامته كان إذا أخذ مضجعه ونامت العيون أنهضه عن مضجعه وأضجع عليا مكانه.

ليكون عليّ (ع) هو الفدائي الدائم الذي يفدي رسول الله (ص) بروحه، ويفدي هذه الرسالة بنفسه حتى تتلأأ وتنتشر في الأرجاء ويفوح عبقها وتزكو رائحتها في الآفاق.

التضحية فداء للرسول (ص)

لم تترك قريش أسلوباً من أساليب التضيق والخنق على رسول الله (ص) من أجل القضاء على دعوته إلا واتبعته، وحين شعر رسول الله بالخطر على أصحابه ووجد من يثرب حاضنة له ولأصحابه لتبليغ دعوته، أمر أصحابه بالهجرة للمدينة للتخلص من الأذى الذي كانت تمارسه قريش ضدهم على أن يلحق بهم في وقت لاحق، ولكن قريش حين علمت بنية الرسول (ص) للهجرة إلى يثرب اجتمعت في دار الندوة واتفقت على أن تتبع أربعين رجلاً من أربعين قبيلة لقتل محمد (ص) ليلاً ليضيع دمه بين القبائل، وقد رسما خططهم بتخطيط محكم ليتخلصوا من محمد (ص) ويقضوا على دعوته قبل أن تستفحل.

لم يدركوا بأن مرسل الرسول (ص) هو الحافظ لهذه الدعوة من المؤامرات، لذلك أخبر الله تعالى رسوله عن طريق الوحي بقوله:

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (1).

وكان مكر الله خير من مكرهم، حيث أمر رسول الله (ص) بمغادرة منزله ليلاً وهم يحاصرون المنزل وأمره بأن يأمر علياً بالمبيت مكانه، فخرج ليلاً وهو يتلو:

(وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (2).

فخرج ولم يستطيعوا رؤيته بفضل الله تعالى بينما كان عليٌّ يتلحف في فراش رسول الله (ص) وهم يعتقدون أن محمداً هو النائم، ولما كان الثلث الأخير من الليل هجموا على الدار فتفاجئوا بعليٍّ يقف أمامهم، مما أصابهم بالهلع وكان في مقدمهم خالد بن الوليد شاهراً سيفه، فلما اقترب من الفراش فرغ إليه الإمام علي (ع)

1 - الأنفال 30

2 - يس 9

ففرّ هاربا وأخذ منه عليّ السيف، مما افشل خطتهم في القضاء على النبي محمد (ص) وأورث في أنفسهم أحقادا على الإمام علي (ع).

ونزلت الآية القرآنية في مدح موقف علي البطولي: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) (1).

وفي تحدّ صارخ من علي (ع) لقريش قام الإمام علي بتأدية الأمانات لأهلها ونفَذ جميع وصايا الرسول (ص) كما أمره ثم ابتاع ركائب لمن معه من النسوة وخرج في وضح النهار بمعيّة فاطمة بنت رسول الله (ص) وفاطمة بنت أسد وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب وفاطمة بنت حمزة ومعهم أم أيمن وأبو واقد الليثي.

المؤاخاة بين محمد (ص) وعلي (ع)

فيما يروى أن المؤاخاة كانت مرتين، الأولى بين المهاجرين في مكة وقد اتخذ رسول الله (ص) عليّا اخا، والثانية بين المهاجرين والأنصار في المدينة وقد اتخذها مرّة ثانية أخا له وقال له: "أنت أخي في الدنيا والآخرة"⁽²⁾.

وكانت المؤاخاة من أجل أن لا يشعر المهاجرون بالنقص، خصوصا وأنهم تركوا أموالهم وأملاكهم وأزواجهم في مكة وهاجروا إلى المدينة المنورة لينجوا بأنفسهم من بطش قريش، فكان لا بدّ من تهيئة الأجواء لهم لكي يمارسوا حياتهم بشكل طبيعي، ويكون للرسالة الإسلامية في موقع قوّة.

1 - البقرة 207
2 - أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج 1 ص 337، والرسالة العلوية، في فضل أمير المؤمنين على سائر البرية، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراكي، ص 18، والجامع الكبير 6 : 84 / 3720، المستدرک على الصحيحين 3 : 14.

الإمام علي وإسلام همدان وأهل اليمن

في السنة العاشرة للهجرة بعث رسول الله (ص) عليًا إلى اليمن، وقد كان أرسل قبله خالد بن الوليد إليهم يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فأرسل عليًا وأمره أن يعقل خالد ومن شاء من أصحابه ففعل، وقرأ علي كتاب رسول الله (ص) على أهل اليمن فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، فكتب بذلك إلى رسول الله (ص).

فقال رسول الله (ص): السلام على همدان، يقوله ثلاثًا.

ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام، فكتب بذلك إلى رسول الله (ص) فسجد لله شكرًا⁽¹⁾.

¹ - الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير المتوفي 630هـ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1407هـ، 1987م، ج2، ص 168

لولا علي لم يكن كفؤ لفاطمة

فاطمة الزهراء (ع) بضعة رسول الله والتي كانت لرسول الله بمثابة البنت والأم حتى قال عنها "أمّ أبيها" بسبب الحنان الذي أغدقته على رسول الله حيث كانت أول من يستقبله عند خروجه ورجوعه من الغزوات أو السفر، وكانت تضمّد جراحه عندما يصاب من المشركين، أنها الزهراء البتول التي قال فيها رسول الله (ص): "فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها فمن أغضبها أغضبني"⁽¹⁾.

وبسبب منزلتها الرفيعة فقد تقدّم لخطبتها كبار الصحابة وكان رسول الله (ص) يردّهم بقوله: "لم ينزل القضاء بعد"⁽²⁾.

وحين جاءه الإمام علي (ع) خاطبا على استحياء منه، تهلّل وجه رسول الله (ص) ودخل على فاطمة ليسألها عن رأيها فسكنت، فقال رسول الله (ص):

"الله أكبر، سكوتها إقرارها"

ثم قال: "إن الله أمرني أن أزوّج فاطمة من علي ابن أبي طالب"⁽³⁾، فزوّجها عليّا على أربعمئة مثقال من الفضة، فخرّ عليّ ساجداً لله.

¹ - صحيح البخاري 1144/3، وفي صحيح مسلم 1903/4 ذكره بصيغة "فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها" وفي علل الشرائع 219/1 "فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، من آذاني فقد آذى الله".

² - ذكر الرواة أن ابا بكر وعمر وبعض الصحابة خطبوا فقال رسول الله (ص) لهم «إنها صغيرة، وإني أنتظر بها القضاء»، أنظر محمد بن سعد، الطبقات الكبرى ج 8 ص 12 - ابن حجر، الإصابة ج 1 ص 374 - الهيثمي، مجمع الزوائد ج 9 ص 204 .

³ - الهيثمي، مجمع الزوائد ج 9 ص 202 .

وقال الإمام الصادق (ع): "لو لا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين علي لفاطمة لما كان لها كفؤ على وجه الأرض.." (1).

وقال: "أمرت بتزويجك من السماء" (2).

وقال لفاطمة (ع): "زوّجتك يا بنية أعظمهم حلما، وأقدمهم سلما، وأكثرهم علما" (3).

تقاسم علي (ع) الحياة مع فاطمة (ع)، فكان يساعدها في عمل النزل، حيث كان يدير طاحونة اليد بنفسه، يطحن عليها الشعير والقمح وكانت فاطمة تعد له الخبز.

وكان بيتهما المتواضع هو الذي أنزل الله تعالى فيه:

(فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) (4).

1 - الأصول من الكافي، ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني المتوفي سنة 328 | 329 هـ، مطبعة حيدري، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط5، 1363ش، دار الكتب الإسلامية، طهران، ايران، ج 1 ص 461 ، الأمالي، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (الشيخ الصدوق)، تحقيقي قسم الدراسات الإسلامية، ط1، 1417هـ، مركز الطباعة مؤسسة البعثة، طهران، ايران، المجلس 86 ، ص 688

2 - تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج42 ص 125 حديث 8494

3 - المصدر نفسه، ج42 ص 132 حديث 8505

4 - النور 36

علي مع القرآن

انصرف الإمام علي (ع) لجمع القرآن الكريم حين آلت الخلافة إلى غيره، ولم يشغل نفسه بالصراع من أجلها حيث قال "قوا الله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة"⁽¹⁾.

انه القرآن الناطق الذي عبّر عنه رسول الله (ص)، وهو مع القرآن أينما وكيفما كان، ولن يفترقا أبدا حتى يردا على رسول الله (ص) الحوض فقد قال رسول الله (ص) يوما:

"علي مع القرآن والقرآن مع علي"⁽²⁾.

تفرغ الإمام علي (ع) لجمع القرآن واقسم أن لا يضع عليه رداؤه قبل أن يجمع القرآن الكريم، وفي ذلك يقول الإمام علي (ع):

"إني لم أزل منذ قبض رسول الله (ص) مشغولاً بغسله وتجهيزه، ثم بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب الواحد، ولم ينزل الله على نبيه آية من القرآن إلا وقد جمعتها، وليس منه آية إلا وقد أقرأنيها رسول الله (ص) وعلمني تأويلها، لئلا تقولوا غداً: (إنا كنا عن هذا غافلين)"⁽³⁾.

ومما ورد أن علياً (ع) جمع القرآن على ترتيب نزوله بعد وفاة الرسول (ص) ويبدو أنه لم يقتصر على نصوص القرآن وآياته بل أضاف إليها تفسير غوامضه وأسباب نزوله⁽⁴⁾.

1 - اختيار مصباح السالكين، شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، ط1، 1408هـ، الخطبة 71، ص 182

2 - مجمع الزوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري، ج 9، ص 129

3 - تاريخ يعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للطبوعات، بيروت لبنان، ط1، 1431هـ، 2010م، ج 2، ص 113

4 - هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثنا عشر، القسم الأول ص 275

وبسبب التصاق الإمام علي بالقرآن الكريم وسبر أغوار معانيه فانه الوحيد في هذه الأمة بعد الرسول (ص) الذي قال:

"سلوني قبل إن تفقدوني"⁽¹⁾ ويتحدث بنفسه عن علمه بآيات القرآن الكريم: "ما من آية في كتاب الله أنزلت في سهل أو جبل إلا وأنا عالم متى نزلت وفيمن أنزلت."⁽²⁾

لذلك كان يصف القرآن بكلمات رائعة، وأدب رفيع بقوله:

"ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه، ولا تنكشف الظلمات إلا به"⁽³⁾.

وقرأ رسول الله (ص): (وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعْيَتْ).

فقال: "يا علي سألت الله أن يجعلها أذنك"، قال علي: فما نسيت حديثاً أو قولاً سمعته من رسول الله (ص)⁽⁴⁾.

(1) ابن أبي الحديد ، مصدر سابق ، ج2، ص286.

(2) المصدر السابق ، ج6، ص136 ، و كتاب جمل من أنساب الأشراف، الامام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي سنة 279هـ، ج2، ص

351

(3) الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، خطبة 18 ، ص54 .

4 - و كتاب جمل من أنساب الأشراف، الامام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي سنة 279هـ ج2، ص 363

حب علي حسنة

مما يؤثر عن رسول الله (ص) في حق علي (ع) عن معاذ " حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة"⁽¹⁾.

ولا غرو فمنزلة الإمام علي (ع) عند الله ورسوله لا تضاهيها منزلة فقد روى ابن عباس "العلي أربع خصال ليست لأحد من الناس غيره، هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله (ص)، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم المهراس (يوم حنين)، وهو الذي غسله وأدخله قبره"⁽²⁾.

كذلك قال ابن عباس: "السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين، والسابق إلى محمد (ص) علي بن أبي طالب (ع) وهو أفضلهم"⁽³⁾، وفيه نزلت آية (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ)⁽⁴⁾.

وقد نزلت الآيات القرآنية الكثيرة في حق علي (ع) ومنها ما جاء في الخصائص قوله تعالى: (وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ)⁽⁵⁾، أنها نزلت في النبي (ص) وعلي (ع) لأنهما أول من صلى وركع⁽⁶⁾.

من هذا المنطلق وبسبب سابقته في الدين قال رسول الله (ص): " خير هذه الأمة بعدي أولها إسلاما علي بن أبي طالب (ع)"⁽⁷⁾.

1 - كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة المحقق أبي الحسن الأربلي، ج1، ص88
2 - المصدر نفسه، ج1، ص77
3 - المصدر نفسه، ج1 ص 79
4 - الواقعة 10
5 - البقرة 43
6 - كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة المحقق أبي الحسن الأربلي، ج1، ص82
7 - المصدر نفسه ج1، ص 83

وليس غريبا أن يكون حب الإمام علي (ع) هو الإيمان لذلك قال عنه الرسول (ص): "حبك إيمان وبغضك كفر"⁽¹⁾.

وعن أنس قال: كنت جالسا مع النبي (ص) إذ أقبل علي (ع) فقال "أنا وهذا حجة الله على خلقه".

وقال عنه "علي باب علمي وهديي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رافة ومودته عبادة"⁽²⁾.

وقال في حقه "من أحب أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فإن ربي عز وجل غرس قضبانا بيده، فليتولّ علي بن ابي طالب، فانه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة"⁽³⁾.

ومنه ما جاء عن ابن عباس: " لو اجتمع الناس على حب علي بن ابي طالب (ع) لما خلق الله عز وجل النار"⁽⁴⁾.

ومن كتاب المناقب لأبي المؤيد الخوارزمي عن علي عن النبي (ص) قال:

"يا علي لو أنّ عبدا عبد الله عزّ وجلّ مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أحد ذهباً، فأنفقه في سبيل الله ومدّ في عمره حتى حجّ ألف عام على قدميه، ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوما ثم لم يوالك يا علي لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها"⁽⁵⁾.

1 - كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة المحقق أبي الحسن الأربلي ج1، ص 86

2 - المصدر نفسه، ج1، ص88

3 - المصدر نفسه ج1 ص 90

4 - المصدر نفسه ج1 ص91

5 - المصدر نفسه ج1 ص94

ذلكم علي بن ابي طالب (ع) باب مدينة علم رسول الله، الذي عبّر عنه بقوله:

"أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم، فليأت الباب"⁽¹⁾.

قال رسول الله (ص) "إن الله تعالى أوحى إليّ في علي ثلاثة أشياء ليلة أسري بي: أنه سيد المؤمنين وإمام المنقّين وقائد الغرّ المحجّلين"⁽²⁾.

وقال رسول الله (ص): "اشتأقت الجنة إلى ثلاثة، علي وعمار وسلمان"⁽³⁾.

¹ - كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة المحقق أبي الحسن الأربلي ج1 ص104، - مجمع الزوائد، الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر بن سليمان الهيتمي المصري، ج9 ص 103

² - - مجمع الزوائد، الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر بن سليمان الهيتمي المصري، ج9 ص 111، والمستدرك للحاكم النيسابوري، ج3 ص 148 حديث رقم 4668

³ - المستدرك للحاكم النيسابوري، ج3 ص 148 حديث رقم 4666

من بليغ كلام الإمام علي (ع) إيجاز الكلام بمعان عميقة:

لم يؤثر عن رجل في تاريخ البشرية غير رسول الله (ص) مثل بلاغة الإمام علي (ع) فقد أخذ علمه من رسول الله، وقال "علمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم، واستتبقت من كل باب ألف باب"⁽¹⁾.

لذلك وقف أرباب الفصاحة والبلاغة حيارى أمام بلاغة الإمام علي (ع)، وبهرتهم عباراته الموجزة ذات المعاني العميقة، ومما يؤثر عنه مما وقف أمامه العلماء مشدوهين:

"فان الغاية أمامكم وان وراءكم الساعة تحذوكم، تخففوا تلتحقوا فإنما تنتظر بأولكم آخركم"⁽²⁾.

قال الشريف: أقول: إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه، وبعد كلام رسول الله (ص)، بكلّ كلام لمال به راجحا، و برز عليه سابقا.

فأما قوله (ع): تخففوا تلتحقوا فما سمع كلام اقل منه مسموعا ولا أكثر محصولا، وما أبعد غورها من كلمه، وانفع نطفتها من حكمه، وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها.

ويعلق الشيخ ميثم البحراني بعد استعراضه لكلام الشريف قائلا: لا شك أن هذه الكلمات اليسيرة، قد جمعت وجازة الألفاظ وجزالة المعنى المشتمل على الموعظة الحسنة، والحكمة البالغة وهي أربع كلمات:

الأولى: أن الغاية أمامكم واعلم أنه لما كانت الغاية من وجود الخلق أن يكونوا عباد الله كما قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وكان المقصود من العبادة إنما هو الوصول إلى جناب عزته، والطيران في

¹ - التفسير الكبير، الفخر الرازي، ط1، المطبعة البهية المصرية، 1357هـ، 1938م، ج8، ص23 في تفسير قوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا..).

² - نهج البلاغة، شرح الشيخ ميثم البحراني، ج1 ص399

حظائر القدس بأجنحة الكمال مع الملائكة المقربين، وكان ذلك هو غاية الإنسان المطلوبة منه، والمأمور بالتوجه إليها بوجهه الحقيقي.

ويستخلص العلامة ابن ميثم البحراني: قوله تخفّفوا وكُنّي بهذا الأمر عن الزهد الحقيقي الذي هو أقوى أسباب السلوك إلى الله سبحانه وهو عبارة عن حذف كلّ شاغل عن التوجّه إلى القبلة الحقيقيّة والإعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وتنحية كلّ ما سوى الحقّ الأوّل عن مسنن الإيثار فإنّ ذلك تخفيف لأثقال الأوزار المانعة عن الصعود في درجات الأبرار الموجبة لحلول دار البوار وهي كناية باللفظ المستعار، وهذا الأمر في معنى الشرط.

والثانية قوله تلحقوا وهو جزء الشرط أي أن تخفّفوا تلحقوا، والمراد تلحقوا بدرجات السابقين الذين هم أولياء الله والواصلون إلى ساحل عزّته، وملزمة هذه الشرطيّة قد علمت بيانها فإنّ الجود الإلهي لا بخل فيه ولا قصور من جهته والزهد الحقيقي أقوى أسباب السلوك إلى الله كما سبق فإذا استعدّت النفس بالإعراض عمّا سوى الحقّ سبحانه وتوجهت إلى استسراق أنوار كبريائه، فلا بد أن يضاف عليها ما تقبله الصورة التمامية فيلحق بدرجة السابقين ويلتحق بساحل العزة في مقام أمين.

الرابعة: إنما ينتظر بأولكم آخركم أي إنما ينتظر بالبعث الأكبر والقيامة الكبرى للذين ماتوا أولاً وصول الباقيين وموتهم⁽¹⁾.

تلك هي بعض المعاني العميقة التي أوجزها الشيخ ميثم البحراني من كلمات قصار للإمام علي (ع) توضّح عمق المعاني عند الإمام (ع) وهو ما حدى بجميع البلغاء وأرياب الفصاحة للتزوّد من معين كلماته الثرة والتي استلهمها من رسول الله (ص).

¹ - نهج البلاغة شرح الشيخ ميثم البحراني، 399-401

الفصل الثالث

أ- الإمام علي (ع) ومقارعة الظالمين

الهاشميون والأمويون .. زعامة أم مبادئ

يمثل الهاشميين بعد وفاة الرسول (ص) الإمام علي (ع)، كما مثل الأمويين بعد وفاة أبو سفيان ولده معاوية، وشهد الفكر الهاشمي الرسالي حرباً لا هوادة فيها من الفكر الأموي السفيفاني، الذي حاول الوصول إلى الزعامة بالقوة والسيف، وقاتل رسول الله (ص) منذ الفجر الأول للرسالة الإسلامية وبقي على عدائه للبيت الهاشمي ومبادئه جيلاً بعد جيل.

فمنذ فترة جد الهاشميين هاشم بن عبد مناف وأخوه عبد شمس جد بني أمية يصور البعض أن خلافاً حدث بينهما على الزعامة والشرف والسيادة، وبسبب تفوق هاشم فإنه فاز بالرياسة والزعامة على قريش وفي نفس الوقت تفرغ أخوه للتجارة حتى برع فيها، وتداول بتجارته في كثير من البلاد، وورث أبناؤه عنه ذلك..

واستمر هذا الخلاف حتى جاء دور أبي سفيان لمحاربة النبي (ص) لأنه كان يريد الزعامة لنفسه ثم حارب ابنه معاوية الإمام علي ابن أبي طالب (ع) والإمام الحسن (ع) وحارب يزيد بن معاوية الإمام الحسين (ع)، كل ذلك من أجل الزعامة.

قاد معاوية الحرب على البيت الهاشمي بضراوة، وسنّ سب الإمام علي (ع) على المنابر لمدة تزيد على ثمانين عاماً، وتتبع أصحاب الإمام علي وشيعته في كل بقاع الأرض، يقوم بتصفيتهم إما بالسيف أو العسل، واستعمل عليهم ولاية غلاظ كبسر بن أرطاة وزيد بن أبيه وسفيان بن عوف ومسعدة بن حكمة الفزاري وغيرهم ممن خلت قلوبهم من الرحمة فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة.

وعندما يتم تناول هذا الصراع فإننا نشهد الفارق بين البيتين في الهدف والأسلوب، البيت الهاشمي الذي حمل على عاتقه إبلاغ الرسالة وهداية الناس، والبيت الأموي الذي كان هدفه هو التسلط على الرقاب بالقوة وتحويل الخلافة إلى ملك.

يقول جرج جرداق بأن الهاشميين كانوا صادقين في إيمانهم لا يخادعون فيه ولا يواربون⁽¹⁾، وكانوا صادقين في عقيدتهم الأدبية وخلصتها نصرة المظلوم ونجدة المستغيث ورفع الحيف عن المظلوم، وكانوا هم الداعين الى الحلف الشهير الذي اتفقوا عليه مع جماعة من القرشيين دون الأمويين، أما الأمويون فلم يكن هذا الحلف من هواهم، لذلك كانوا حربا عليه⁽²⁾.

لم يكن الهاشميون دعاة صراع يوما ما، وكانوا أحنّ على أعدائهم من أنفسهم، إذ كان هدفهم الأسمى هو هداية الناس لا حربهم، بينما كان الأمويون بالعكس من ذلك تماما، يتميّزون بالغدر ويستبيحون الدماء من أجل الزعامة، ولا يتورعون عن هتك المحارم والدوس على القيم الدينية والإنسانية، فأشعلوا حربا لا هوادة فيها ضد البيت الهاشمي وأتباعه، لأنهم يدركون بأن الحق الذي يمثله الهاشميون سيفضح باطلهم وسيعرّيبهم ويظهرهم على حقيقتهم، فكان لا بدّ من التخلّص من البيت الهاشمي، ول باستتجار رواة ماجورون، ويمثّل الدكتور جعفر نوري هذه الأحادية في إشعال الصراع بقوله:

"ولكن هذا العدا لم يكن آتيا من الهاشميين وكيف يصدر عنهم؟ وهم: المتخلقون بأخلاق القرآن وفيهم سيد الأنبياء وعلي بن أبي طالب، ابن عم النبي، والعباس بن عبد المطلب عم النبي وإنما كان مبعث هذا التنافر والتحدي محصورا في آل حرب (بني أمية) ذلك أنهم رأوا أن السؤدد والدين كله في ظاهره باطنه في الهاشميين وأن هؤلاء حملوهم الإسلام حملا وقد نالوا منهم في موقعة بدر فقتلوا الكبار من آل أمية كما قتلوا

1 - الامام علي صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ص 600

2 - المصدر نفسه ص 600

أبناءهم وأعمامهم فتحول انتصار آل هاشم على آل أمية تحت راية الإسلام في موقعة بدر إلى كره عنيف وحققت دفين في قلوبهم⁽¹⁾.

وفي فتح مكة يقول العباس حين رأى أبو سفيان مرور القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: مالي ولسليم، ثم تمر القبيلة فيقول: يا عباس، من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: مالي ولمزينة، حتى نفذت القبائل، ما تمر به قبيلة إلا يسألني عنها، فإذا أخبرته بهم، قال: مالي ولبني فلان، حتى مر رسول الله (ص) في كتيبته الخضراء.

قال أبو سفيان:

والله يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان، إنها النبوة . قال: فنعم إذن .

وحين آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان، شعر أبو سفيان بأن بعض أمجاده العائلية قد عاد إلى الظهور وأخذ يتركز من جديد "فمشى به الحقد الثأري المستفز إلى قبر حمزة- عم النبي (ص) وأبي طالب- فركله برجله وهو يقول: "انهض فقد صار ألبنا الملك الذي حاربتنا عليه"⁽²⁾.

ولقد لخص المقريزي طبيعة هذا الصراع في بيتين:

عبد شمس قد أضرمت لبني هاشم حرباً يشيب منها الوليد

فابن حربٍ للمصطفى وابن هند لعليٍّ وللحسين يزيد

¹ - الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام، نظرات في الكتب الخالدة - حامد حفي داود من كتاب للمؤلف الدكتور نوري جعفر، شبكة الشيعة العالمية ص160

² - الامام علي صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ص604

فالمقريزي ذلك المؤرخ المعروف يقول بأن الحرب قد أشعلها بنو عبد شمس ضد بني هاشم من طرف واحد، وكان ابو سفيان ضد النبي محمد (ص) ومعاوية ضد الإمام علي (ع) ويزيد ضد الإمام الحسين (ع).

ويصور عباس محمود العقاد هذا الصراع بأنه صراع بين الأريحية والمنفعة، الأريحية التي يمثلها البيت الهاشمي والمنفعة التي يمثلها البيت الأموي وأن الكفاح بين علي ومعاوية لم يكن بين رجلين أو بين عقليين وحيلتين، ولكنه كان على الحقيقة كفاحا بين الإمامة الدينية والدولة الدنيوية.

كل المنصفين ممن كتبوا في تاريخ الصراع يدركون هذا الاختلاف بين البيتين، فالطرف الذي يمثله الهاشميون يحمل المحبة لكل الناس لا يفرّق بين الغني والفقير ولا الأبيض والأسود فالناس سواسية لديه كأسنان المشط، بينما الطرف الذي يمثله الأمويون يناقض ذلك تماما، البيت الهاشمي يرفض الغدر والفتك حتى لمن أباح دمه كما فعل مسلم بن عقيل حين جاء عبيد الله بن زياد في بيت هانئ بن عروة وكان يستطيع الفتك به وقتله خصوصا وأن ابن زياد قد اصدر أمرا بإباحة دم مسلم بن عقيل، لكن كانت عبارة مسلم بن عقيل المشهورة حين طلب منه قتل بن زياد في بيت هانئ بن عروة "إنا أهل بيت نكره الغدر"⁽¹⁾.

¹ - نهضة الحسين، هبة الدين الحسيني الشهرستاني، مكتبة الجوادين، سنة 1389هـ، 1969م، ص99

مقارنة بين نهج الإمام علي (ع) في وصاياه لولاته ونهج خصومه

لا يحتاج المرء إلى كبير جهد لمعرفة الفارق الشاسع بين مبدأ الإمام علي (ع) في استعمال الولاية وتوصيته لهم بضرورة إتباع الحق والتحلّي بالتقوى والعدل بين الرعية ومساواة أنفسهم بأضعف الناس وعدم استخدام مستشاري السوء، وعدم ظلم الرعية والإنصاف بين الناس، بينما يستخدم خصومه الخداع والمراوغة واستخدام أساليب القتل والنهب والترهيب في وصاياهم لولاتهم.

فمن وصايا معاوية لمن يبعثهم على رأس الجيوش، حين بعث بسر بن أرطاة الى المدينة قال له: "سر حتى تمر بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به، وانهب أموال كل من أصبت له مالا ممّن لم يكن له دخل في طاعتنا"⁽¹⁾.

هذه المدينة التي أطلق عليها رسول الله المباركة وامتدح أهلها وجعلها مقر إقامته بعد الهجرة ومنها الأنصار الذين آووا رسول الله (ص) ونصروه، يقوم معاوية ببعث رجل لا تعرف الرحمة الى قلبه سبيلا ليقتل أهلها ويروّعهم وينهب أموالهم على الهوية، أي أن النهب سيطال كل من لا يوالي معاوية.

وحين سيّر سفيان بن عوف الغامدي إلى العراق قال له: "إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم وتفرح كل من كان له فينا هوىّ منهم وتدعو ألينا كل من خاف الدوائر فاقتل من رأيته ممّن هو ليس على مثل رأيك، وأخرب كلّ ما مررت به من القرى، واحرب الأموال فان حرب الأموال شبيهة بالقتل وهو أوجع للقلب"

لم يحدث في تاريخ البشرية صورة أبشع من هذه الصورة التي تمثّل للأسف الشديد الحاكم باسم الإسلام ويحاول البعض الدفاع عن صاحبها باعتباره "خال المسلمين" و"كاتب الوحي"، يرسل رجلا إلى أهل العراق

¹ - بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، الباب الحادي والثلاثون، باب سائر ما جرى من الفتن من غارات أصحاب معاوية على أعماله (ع) وتناقل أصحابه عن نصره و فرار بعضهم، شبكة هجر الثقافية، ص7

ويأمره بقتل كل من لم يكن على هواه، اي أنه يقوم بقتل كل من يوالي عليًا (ع) لمجرد الموالاة، وتخريب القرى في طريقه وحرب الأموال أي سلبها لأن ذلك بنظره شبيه بالقتل ولكنه أكثر إبلاما ووجعا على القلب.

وحين سار بسر بن أرطاة إلى اليمن قتل في وجهه ذاهبا وراجعا ثلاثين ألفا، وحرقت قوما بالنار وكان على اليمن عبيد الله بن عباس عاملا لعلي، فهرب منه إلى علي بالكوفة، واستخلف علي على اليمن عبد الله الحارثي، فأتاه بسر فقتله، وقتل ابنه، وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس صغيرين هما: عبد الرحمان وقتم فذبحهما.

معاوية هو خليفة الله الذي يحق له تذيير الأموال أنى وأين يريد، ولا حق لأحد الاعتراض عليه "الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما أخذ من الله فهو لي، وما تركته منه كان جائزاً لي"⁽¹⁾

وحين أبى أهل الحجاز مبايعة ولده يزيد قال: "فأقسم بالله لان ردّ عليّ أحدكم كلمةً في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمةً غيرها حتى يسبقه السيف إلى رأسه فلا يبقين رجلاً إلا على نفسه"⁽²⁾.

ومن الأعمال البشعة التي قام بها "الخلفاء" في العهد الأموي وهم يحكمون باسم الإسلام، بعيدا عن القيم الأصيلة للإسلام وبعيدا عن المبادئ التي سار عليها رسول الله (ص) فهذا الحجاج بن يوسف النخعي عامل عبد الملك بن مروان اتخذ سجونا لا تقي من حر ولا برد، وكان يعذب المساجين بأقسى ألوان العذاب، فكان يشد على بدن السجين القصب الفارسي الشقوق ويجر عليه حتى يسيل دمه، ويقول المؤرخون انه مات في حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة منهم ستة عشر ألفا مجردات كان يحبس الرجال والنساء في

1 - أنساب الأشراف، البلاذري، ج5، ص 27، الامام علي صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ص614
2 -الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير المتوفي 630هـ،تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1407هـ، 1987م، ج3، ص 354

موضع واحد وأحصي في محبسه ثلاث وثلاثون ألف سجين لم يحبسوا في دين ولا تبعة وكان يقول لاهل السجن: (اَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) شبههم بأهل النار، وشبه نفسه بالخالق تعالى، عتوا وتكبرا منه، ومن جرائم هذا الطاغية انه قاد جيشا مكثفا إلى مكة لمحاربة ابن الزبير، وقد حاصر البيت الحرام ستة أشهر وسبع عشر ليلة، وقد أمر برمي الكعبة المشرفة فرميت من جبل أبي قبيس بالمنجنيق⁽¹⁾.

ال خليفة الأموي الوليد بن يزيد وكان سبب قتله ما تقدم ذكره من خلاعته ومجانته، فلما ولي الخلافة لم يزد من الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد وشرب النبيذ إلا تمادياً، فنقل ذلك على رعيته وجنده وكرهوا أمره، ومن أقواله⁽²⁾:

ألم تهتج فتذكر الوصالا	وحبلاً كان متصلاً عزالا
بلى فالدمع منك إلى انسجام	كماء المزن ينسجل انسجالا
فدع عنك اذكارك آل سعدي	فنحن الأكثرون حصي وما لا
ونحن المالكون الناس قسراً	نسومهم المذلة والنكالا

1 - حياة الامام محمد الباقر (ع) دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، دار البلاغة، ط1، 1413هـ، ج2، ص30-31
2 - الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير المتوفي 630هـ، مصدر سابق، ج3، ص 480

معاوية يلاحق أصحاب علي (ع)

شرّد الصحابي الجليل عمرو ابن الحمق الخزاعي الذي سقى رسول الله (ص) فدعا له قائلاً: "اللهم متعه بشبابه، فبلغ الثمانين ولم يُرَ في لحيته أو رأسه شعرة بيضاء، قتله معاوية ولما قتل قطعوا رأسه وحملوه إلى معاوية، ووضع رأسه في حجر زوجته التي كانت في سجن معاوية، ففزعت، وقالت: غيبتموه عني طويلاً، ثم أهديتموه إلي قتيلاً⁽¹⁾

كما قتل الصحابي العظيم حجر بن عدي الكندي وجماعته في مرج عذراء، في حادثة مشهورة، لأنهم أنكروا على زياد عامل معاوية على الكوفة، وامتنعوا بعد ذلك من البراءة من أمير المؤمنين.

أما ميثم التمار ومقتله فقد ورد في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد أنه قدم الكوفة فأخذه عبيد الله بن زياد فأدخل عليه فقيل: هذا كان من أثر الناس عند علي، قال: بحكم، هذا الأعجمي؟! قيل له: نعم. قال له عبيد الله: أين ريك؟

قال: بالمرصاد لكل ظالم وأنت أحد الظلمة.

قال: إنك على عجمتك لتبلغ الذي تريد، ما أخبرك صاحبك إنني فاعل بك؟

قال: أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة، أنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة.

قال: لنخالفه، قال: كيف تخالفه؟ فوا الله ما أخبرني إلا عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله تعالى، فكيف تخالف هؤلاء؟! ولقد عرفت الموضوع الذي أصلب عليه أين هو من الكوفة، وأنا أول خلق الله ألجم في الإسلام.

¹ - أسد الغابة، الامام عز الدين بن الحسن علي بن محمد الجذري المعروف بابن الأثير (555-630هـ)، دار ابن حزم، ط1، 1433هـ، 2012م، بيروت لبنان، ص931، في ترجمة عمرو بن الحمق (3913)، البداية والنهاية ج:8 ص:48 في أحداث سنة خمسين. تاريخ دمشق ج:69 ص:40 في ترجمة أمنة بنت الشريد.

فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد، فقال ميثم التمار للمختار:

إنك تقلت وتخرج ثائرا بدم الحسين فتقتل هذا الذي يقتلنا. فلما دعا عبيد الله بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخلية سبيله فخلاه وأمر بميثم أن يصلب، فأخرج فقال له رجل لقيه: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم! فتبسم وقال وهو يومئ إلى النخلة: لها خلقت ولي غذيت.

فلما رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث.

قال عمرو: قد كان والله يقول: إني مجاورك.

فلما صلب أمر جاريته بكنس تحت خشبته ورشه وتجميره، فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم، فقيل لابن زياد: قد فضحك هذا العبد!

فقال: أجموه، فكان أول خلق الله أجم في الإسلام.

ومن خطبة الحجاج بن يوسف البتراء في أهل الكوفة يقول: "وإني لأرى أبصارا طامحة، وأعناقا متطاوله، ورؤوسا قد أينعت وحن قاطفها، وإني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحي تترقرق"⁽¹⁾.

لم يتورع مسلم بن عقبة حين أرسله يزيد إلى المدينة عن ارتكاب الفظاعات بحق أهلها فأباح المدينة ثلاثة أيام لرجالها يقتلون أهلها ويغتصبون نساءها وينهبون أموالها، حيث بلغ عدد القتلى في ثلاثة أيام ألف وسبعمئة من المهاجرين والأنصار وعشرة آلاف من سائر الرجال بالإضافة إلى هتك عرض أكثر من ألف حرّة من نساء مدينة الرسول (ص).

¹ - موسوعة التاريخ الاسلامي، محمد هادي اليوسفي الغروي، طبعة مجمع الفكر الاسلامي، سنة 1429هـ، ج6، ص 456

ولم يتورّع الحجاج بن يوسف الثقفي من قصف الكعبة بالمنجنيق ورميها بالنيران حين تحصّن فيها عبد الله بن الزبير.

كما لم يتورع من قتل أحد عشر ألف من الأسرى العراقيين الذين أعطاهم الأمان فغدر بهم وقتلهم جميعا بعد انتصاره على ابن الأشعث في معركة الزاوية.

وأحصي من قتلهم في مدّة ولايته فكانوا مائة وعشرون ألفا وكان في سجنونه ساعة موته خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة⁽¹⁾.

لنقارن بين كل تلك الفظائع وبين ما صدر عن الإمام علي (ع) وهو يوصي بنيه وولاته، لننظر إلى عمق القيم والمبادئ الإنسانية التي كان يحملها الإمام علي وهو يوصي بالرعية والاهتمام بضعاف الناس ويقول الحق مهما صعب وبالرحمة لليتامى والوقوف بوجه الظالم، فمن وصيته لولديه الحسن والحسين (ع):

"قُولَا الْحَقَّ، وَارْحَمَا الْيَتِيمَ، وَأَعِينَا الصَّانِعَ وَاصْنَعَا لِالأَخْرَقِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ حَصْمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا، وَلَا تَأْخُذْكُمَا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً"

فلا مجال لدى الإمام علي (ع) في المساومة على حقوق المظلوم، لأن الانتصار لهذه الحقوق يمثل قمة العدالة الإنسانية.

¹ - الامام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، ص 647

ومن عهده لمالك الأشتر حين ولاء مصر يأمره بالرحمة للرعية واللفظ بهم وأن لا يكون عليهم سبعا ضاريا، لأن البشر لا يعدو كونهما صنفان:

"وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق"⁽¹⁾.

¹ - عهد الامام علي (ع) الى مالك الأشتر لما ولاء على مصر وأعمالها، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار نهج البلاغة، ط2 1993م، بيروت، لبنان، خطبة 53، ج3، ص604

ب- شجاعة الإمام علي (ع) وبطولاته

علي (ع) في غزوة بدر الكبرى

كانت غزوة بدر الكبرى الامتحان الأوّل لقوّة المسلمين بعد هجرتهم للمدينة المنورة والإذن الإلهي لهم بالقتال، فكانت السرايا التي يبعثها الرسول (ص) للإغارة على قوافل قريش المتجهة الى الشام لتأديبهم بعد أن ازداد أذاهم للمسلمين، حتى كانت غزوة ذي العشيرة عندما جاءت الأخبار للرسول بأن عيراً لقريش يقودها أبو سفيان بن حرب قد خرجت إلى الشام فخرج يطلبها ففاته إلى الشام فرجع المدينة وهو ينتظر عودتها من الشام ليأخذها.

وحين رجعت القافلة وكانت محمّلة بالكثير من الثروة والعتاد، وصلت الأخبار إلى رسول الله (ص) فخرج بثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وحين علم أبو سفيان بخبر خروج الرسول (ص) استأجر رجلاً اسمه ضمضم بن عمرو الغفاري وكلفه بالذهاب إلى قريش ليستنفرها لنجدتهم، وقد كانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت رؤيا سخر منها أبو جهل لكنها تحققت بهزيمة قريش.

خرجت قريش بكلّ قوّتها لنصرة أبي سفيان وقتال النبي محمد (ص) فحشدت ألف مقاتل وذهبت نحو بدر، وحين علم النبي (ص) بخبر قريش استشار أصحابه فأشار عليه المقداد بن عمرو قائلاً:

"يا رسول الله امض لأمر الله فنحن معك، ولا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، بل نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك العماد لسرنا معك، فدعا له رسول الله" (1).

¹ - سيرة الأئمة الاثنا عشر، هاشم معروف الحسني، ج1، ص183

كما وقف سعد بن معاذ وقال: ".والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك ولعلّ الله عزّ وجلّ أن يريك منا ما تقرّ به عينك فسر بنا على بركة الله"⁽¹⁾.

كانت المعركة غير متكافئة من حيث العدد والعتاد، وكان المسلمون يخوضون التجربة الأولى لهم مع المشركين الذين اضطهدهم وشرّدهم وما زالوا يلاحقونهم ويلاحقون عوائلهم التي بقيت في مكة المكرمة، وبالتالي فلقد كانت هذه المعركة فاصلة في تاريخ الإسلام، فإما الهزيمة للمسلمين والقضاء عليهم وعلى هذا الدين في مهده، أو أنها ستمهّد لتوسّع الإسلام وانتشاره من خلال انتصار المسلمين والقضاء على هيبة القرشيين التي وصفها أحدهم بقوله "إنها قريش والله ما ذلت منذ عزّت".

لذلك يصف القرآن الكريم حال المسلمين في تلك المعركة بقوله:

(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ، يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)⁽²⁾.

ويسبب عظم خطر هذه المعركة فقد كان رسول الله (ص) يدعو الله تعالى بأن ينصره على قريش لأن هزيمة المسلمين تعني الانكسار أمام كبرياء قريش وخيلائها، ويعني ذلك بأن قريش استطاعت تحقيق أهدافها في القضاء على الدعوة الإسلامية، وبصور الله تعالى ذلك بقوله:

(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

¹ - الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ج9، ص 26

² - الأنفال 5-8

مَاءً لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُنَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ، إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَنَبَّأُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ، ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ⁽¹⁾.

في هذه المعركة برز الدور الأساسي للإمام علي (ع) في إعلاء كلمة الإسلام، وأورث في قلوب الأمويين أحقاداً ظلت تعشعش في نفوسهم حتى حانت الفرصة للانتقام حين تسنم معاوية التسلط على رقاب المسلمين، فسن سب الإمام علي (ع) على المنابر وقام بملاحقة شيعته والتكيل بهم، ثم جاء الدور على ابنه يزيد الذي قتل الإمام الحسين (ع) وعترته رسول الله (ص) وسبى ذرية الرسول، ثم أخذ يترنم قائلاً:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

هذه الأحقاد الجاهلية كان سببها انتصار رسول الله (ص) في المعارك ضد المشركين، ومواقف الإمام علي (ع) المناهضة عن الإسلام بوجه عتاة قريش وفوارسها الذين وقفوا بوجه الإسلام، فحين برز في بدر الكبرى كل من عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه وولده الوليد ابن عتبة، برز إليهم الإمام علي (ع) وعبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب، فقتل الإمام علي (ع) الوليد بن عتبة واشترك في قتل شيبه مع الحارث، ثم برز حنظلة بن أبي سفيان فقتله علي (ع) ثم قتل العاص بن سعيد بن العاص، واستمر القتال حيث قتل الإمام علي (ع) معظم ذؤبان قريش حتى عدّ قتلاه فكانوا ثلث القتلى من المشركين أو النصف واشترك في النصف الآخر حسب رواية المفيد⁽²⁾.

¹ - الأنفال 9-14

² - ذكر في الميزان لتفسير القرآن للطباطبائي ج9 ص 23 الى 34 غزوة بدر بالتفصيل، كما ذكرها كتاب سيرة الأئمة الاثنا عشر لهاشم معروف الحسني ج1 ص181 الى 191

غزوة أحد: "لا فتى إلا علي"

وقعت غزوة أحد في سنة 3هـ، بعد الهزيمة المنكرة لقريش في غزوة بدر حاولت الانتقام من الرسول (ص) وأتباعه، فحشدت ثلاثة آلاف مقاتل، منهم 1000 من قريش و2000 من الأحابيش وهم بنو الحارث بن عبد مناة من قبيلة كنانة و100 من ثقيف، بينما كان جيش المسلمين سبعمائة مقاتل فقط.

خرج جيش قريش ومعهم خمسة عشر امرأة على رأسهن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، ولما بلغوا الأبواء توقفت وحاولت نبش قبر آمنة بنت وهب أم النبي (ص) وإخراج رفاتها لحرقه، إلا أن بعض زعماء قريش حالوا بينها وبين ذلك لئلا يصبح ذلك سنة عند العرب، علما بأنها ألحّت على ذلك وأقسمت بالألزام أن لا تبرح مكانها حتى تنبش القبر وتخرج الرفاة منه⁽¹⁾.

كان لواء المشركين عند بني عبد الدار حيث استلمه في البدء طلحة بن أبي طلحة، فأعطى رسول الله (ص) اللواء لمصعب بن عمير لأنه من بني عبد الدار ولما قتل سلمه الرسول (ص) للإمام علي (ع)، وبرز طلحة بن أبي طلحة للقتال فبرز إليه الإمام علي (ع) فقتله بضربة فلق بها هامته، ثم أخذ لواء المشركين بعد طلحة أخوه عثمان بن أبي طلحة فبرز له الحمزة فقتله، ثم أخذ اللواء بعده أخوه أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله الإمام علي (ع) ثم ارطاة بن شرحبيل فقتله الإمام علي (ع) وهكذا كلما أخذ اللواء رجل من بني عبد الدار قتله علي أو الحمزة حتى وصلوا تسعة.

وضع الرسول (ص) خطته للحرب وأمر مجموعة من الرماة بالبقاء على جبل أحد، وأن لا يغادروه حتى لو رأوا المسلمين قد انتصروا، لكن الرماة حين رأوا انتصار المسلمين وانشغالهم بجمع الغنائم تركوا أماكنهم ونزلوا

¹ - سيرة الأئمة الاثنا عشر، هاشم معروف الحسني، ج 1 ص 195-196

مع المسلمين، الأمر الذي جعل المشركين يستغلون الموقف ويصعدون على الجبل ليوجهوا سهامهم ورماحهم في صدور المسلمين مما غير نصر المسلمين إلى هزيمة.

لم يبق إلا عشرة على الجبل وعلى رأسهم عبد الله بن جبير فاستغل خالد بن الوليد الموقف فهاجمهم بعدد كبير من المشركين ورجع المشركون يحيطون بالمسلمين من كل جانب حتى انهزم معظم المسلمين من المعركة.

وقد أصابت الرسول (ص) العديد من الجروح بسبب فرار العديد من المسلمين بعد إشاعة مقتل النبي محمد (ص)، لكن الإمام علي (ع) ومجموعة من المسلمين منهم الحمزة بن عبد المطلب وأبو دجاجة وسهل بن حنيف أحاطوا بالرسول (ص) لحمايته، وحاولت كتيبة من المشركين مهاجمة الرسول (ص) فقال:

يا علي اكفني هؤلاء، فانقض عليهم الإمام فانهزموا، وهكذا كلما هجمت كتيبة على الرسول (ص) صدّهم الإمام علي (ع) بسيفه، فسمع ذلك اليوم نداء من السماء "لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي".

وفي هذه الحادثة جاء في كتاب الطبري تاريخ الأمم والملوك: "حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا حبان بن علي عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده قال: لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من مشركي قريش فقال: لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي قال: ثم أبصر رسول الله (ص) جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم وقتل شيبه بن مالك أحد بني عامر بن لوي فقال جبريل: يا رسول الله إن هذه للمواساة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه مني وأنا منه، فقال جبرائيل: وأنا منكما، قال: فسمعوا صوتا، لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي"⁽¹⁾.

¹ - تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة بريل بمدينة ليدن سنة 1879م، ج 3 ص 197، ربيع الابرار للزمخشري ج 1 ص 833، ورواه الذهبي في ميزان الاعتدال ج 3 ص 324، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ح 10 ص 182 ط مصر،

نعم لقد تجلّت المواقف البطولية للإمام علي (ع) يوم أحد وصمد في وجه هجمات المشركين لحماية رسول الله (ص) الذي كان مقصداً للمشركين لقتله والقضاء على الرسالة الإسلامية، وتحولت هزيمة المسلمين إلى نصر بفضل هذا الصمود الأسطوري لرسول الله (ص) والإمام علي (ع) والحمزة بن عبد المطلب الذي ذهب شهيداً في هذه المعركة برمح من عبد استأجرته هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان لذلك اسمه وحشي وجاءت هند وقامت تلوك كبده انتقاماً منه ومن رسول الله (ص).

لقد ثبت الإمام علي (ع) وهرب المسلمون ولم يبق الا بضعة نفر، وحين انتشرت إشاعة أن رسول الله قد قتل، قال بعض من فرّ عنه والتجأ إلى الصخرة فوق الجبل:

ليت لنا رجلاً إلى عبد الله بن أبي ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، يا قوم ان محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم ويقتلوكم، فقال لهم أنس بن النضر⁽¹⁾:

ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد، ثم تركهم وقاتل حتى قتل، وقد نزلت الآية الكريمة:

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)⁽²⁾.

1 - تاريخ الطبري ج 3 ص 30

2 - آل عمران 144

يوم الأحزاب.. برز الإيمان كله إلى الشرك كله

تصوّر لنا الآيات الكريمة حال المسلمين يوم أحاط بهم المشركون في غزوة الأحزاب البالغ عددهم عشرة آلاف جندي جاءوا بقيادة أبي سفيان لينتقموا من الرسول (ص) بعد الهزائم المتوالية في غزوتي بدر وأحد، فقد أحاطوا بالمدينة المنورة سنة 5هـ، وقد كان النبي (ص) قد حفر خندقاً حول المدينة اقترحه سلمان الفارسي، ولكن أبا سفيان استطاع إقناع بني قريظة بالتحالف مع المشركين مما أدخل الرعب في قلوب المسلمين الذين وصفهم الله تعالى بقوله:

(إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) (1)

واستطاع عمرو بن ود الذي يعد بألف فارس مع عكرمة بن أبي جهل ومجموعة من القرشيين عبور الخندق، ووقف متحدياً للمسلمين للبراز، فلم يجرؤ أحد على مبارزته لمعرفتهم به، لكن علياً وقف إلى رسول الله (ص) وقال أنا له يا رسول الله، وكان يرده في كل مرة، حتى وقف عمرو ينشد:

ولقد بحثت من النداء	بجمعهم هل من مبارز
أني كذلك لم أزل	متسرّعا نحو الهزاهز
أن الشجاعة في الفتى	والجود من خير الغرائز

فأذن رسول الله (ص) لعليّ (ع) والبسه درعه وعمامته وأعطاه سيفه ودعا الله له، فبرز لعمرو وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك
مجيب صوتك غير عاجز

¹ - الأحزاب 10-12

ذو نيّة وبصيرة والـ صدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن اقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى صيتها بعد الهزاهز

وحين برز الإمام علي (ع) إلى عمرو قال رسول الله (ص): "برز الإيمان كلّهُ إلى الشرك كلّهُ" مما يدلّ على أهميّة هذه المبارزة التي أحجم المسلمون جميعاً عنها بينما اندفع لها الإمام علي (ع) بكلّ ثقة وإيمان، ودعا عمرو بن ود للإيمان أو الرجوع بمن معه لكنّه أبى وأصرّ على القتال فدعاه للمبارزة، فقال عمرو:
إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك لي نديماً.
فقال له الإمام علي (ع): لكني أريد أن أقتلك.

فاقتحم عن فرسه فعقره، وسلّ سيفه وأقبل على الإمام علي (ع)، فصدّه الإمام وهجم عليه هجمة تناثر أثرها الغبار بين الطرفين فأرداه قتيلاً ثم كبر وكبّر المسلمون لما سمعوا تكبيره الإمام (ع).

وقال رسول الله (ص) في ذلك اليوم: "ضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين".

وفي مقتل عمرو على يد الإمام علي (ع) أنشدت أخته عمرة بنت ود أبياتاً تراثية⁽¹⁾:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ما أقام الروح في جسدي
لكن قاتله من لا يعاب به وكان يدعى أبوه بيضة البلد

¹ - مستدرک الصحيحین ج3 ص33

يوم خيبر.. لأعطين الراية غدا رجلاً يحبه الله ورسوله

في حصن خيبر الذي تحصن فيه اليهود وهم يكيدون للرسول (ص) وأصحابه، حاول المسلمون اقتحامه لكنهم عجزوا، وكان رسول الله (ص) يعطي الراية كل يوم رجلاً لفتح الحصن لكنه يرجع خائباً، وقيل أن من ضمن من أعطي الراية أبو بكر وعمر لكنهما لم يستطيعا فتح الحصن حسب رواية ابن إسحاق.

وحين عجز المسلمون قال رسول الله (ص) قوله المشهور:

"لأعطين الراية غدا رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله"⁽¹⁾.

فتطلعت الأعناق لها لكن النبي (ص) كان ينتظر الإمام علي (ع) وكان به رمد، فالتحق بالرسول (ص) فمسح على عينيه فبرئنا وأعطاه الراية وأوصاه بقتالهم حتى يقولوا لا اله إلا الله، فإذا فعلوا ذلك منعوا منك دماءهم وأموالهم.

فأقبل الإمام علي (ع) بمن معه ونزل لهم اليهود يتقدمهم أبطالهم وكان بينهم الحارث أخو مرحب فبرز للقتال فلم يمهله الإمام علي (ع) حيث أرداه قتيلاً، فبرز مرحب وعليه درعان وقد تقلد بسيفين ومعه رمح وهو ينشد:

قد علمت خيبر أنني مرحب

شاك السلاح بطل مجرب

إذا السيوف اقبلت تلتهب

أطعن أحياناً وحيناً اضرب

فبرز إليه الإمام علي (ع) وهو يقول:

أنا الذي سمّنتي أمي حيدرة

كليث غابات شديد قسورة

أكيلكم بالسيف كيل السندرة

¹ - تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج42 ص 81 حديث 8422 وأضاف عليه "أذهب فان الله يفتح عليك"، وكتاب جمل من أنساب الأشراف، الامام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي سنة 279هـ، ج2، ص 347، صحيح مسلم، دار طيبة، 1427هـ، 2006م، الحديث 2405، ص1129

فاختلف هو وعلي بضريبتين، فضربه عليّ بسيفه فقدّ الحجر الذي كان قد وثقه على رأسه، وقدّ المغفر وشقّ رأسه نصفين حتى وصل السيف إلى أضراسه، فلما رأى اليهود ما حلّ بفارسهم وولّوا منهزمين واستولى المسلمون على الحصن بما فيه..

حين قتل علي (ع) مرحباً، رجع اليهود فأغلقوا باب الحصن وحسب ما يروى فان باب الحصن لا يفتحه الا عشرون رجلاً، ففتحه علي (ع) وجعله جسراً.

وفي هذه المعركة أنشد حسان بن ثابت أبياتاً يمدح فيها علياً (ع):

وكان عليّ أزمَدَ العينِ يَبْتَغِي

دَوَاءَ فَلَمَّا لَمْ يُحِسَّ مُدَاوِيَا

شَفَاهُ رَسُولُ اللَّهِ مِنْهُ بِنَفْلَةٍ

فبُورِكَ مَرْقِيًّا وَبُورِكَ رَاقِيَا

وَقَالَ سَأُعْطِي الرَايَةَ الْيَوْمَ صَارِمًا

كَمِيًّا مُحَبًّا لِلرَّسُولِ مُوَالِيَا

يُحِبُّ إِلَهِي وَإِلَاهَهُ يُحِبُّهُ

بِهِ يَفْتَحُ اللَّهُ الْحِصُونَ الْأَوْبِيَا

فَأَصْفَى بِهَا دُونَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

عَلِيًّا وَسَمَاهَ الْوَزِيرَ الْمُؤَاخِيَا

الأصنام تتهاوى من على سطح الكعبة على يد علي (ع) كما تهاوت أصنام الشرك

بعد صلح الحديبية الذي حدث سنة 6هـ، وتضمّن بنودا كتبها الإمام علي (ع) بين قريش ورسول الله (ص) والتي تنص على رجوع الرسول (ص) إلى المدينة ويرجع معتمرا في العام القادم وأن توضع الحرب بين الطرفين لمدة عشر سنوات، وأن تتاح الفرصة لمن يرغب في الدخول في حلف مع محمد (ص) أو مع قريش فله مطلق الحرية، وأن يرجع محمد (ص) كل من يهرب من قريش قاصدا إليه.

لذلك دخلت خزاعة في حلف محمد ودخلت بكر في حلف قريش، ولكن قريش لم تصبر على بنود الاتفاق خصوصا بعد هزيمة المسلمين في سرية مؤتة، فألّبت حلفاءها من بني بكر على حلفاء الرسول (ص) خزاعة، فقتلوا منهم بعض الرجال، الأمر الذي مثّل نقضا للعهد وإيدانا بالحرب.

أعلم النبي (ص) أصحابه نيته لتجهيز جيش لفتح مكة وأمرهم بكتمان ذلك عن قريش، لكن أحد أصحابه وهو حاطب بن بلتعنة أرسل امرأة إلى قريش لتعلمهم وأعطاهم رسالة أخفتها بين خصلات شعرها، فنزل الوحي يعلم الرسول (ص) بخبرها، فأرسل عليا والزبير في إثرها، فلما لحقوا بها أنكرت وحاول الزبير تصديقها لكن عليا قال بأن الرسول لا يمكن أن يخطئ، فشهّر سيفه عندها أخرجت الرسالة وأعطتهم إياها.

جهز الرسول (ص) جيشا قوامه عشرة آلاف مقاتل وأعطى لوائه لعلي (ع) ووزع الرايات على زعماء القبائل، وفي مر الظهران جمع الطريق أبا سفيان والعباس بن عبد المطلب، حيث خرج أبو سفيان ليتجسس على أخبار المسلمين، فتشفع له العباس عند الرسول فشفع له.

وفي ذلك اليوم مرّ رسول الله في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، على أبي سفيان فقال أبو سفيان للعباس: والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً، قال العباس: يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: فنعم إذن.⁽¹⁾

وحين دخل مكة جمع المشركين وقال لهم: ما تظنون إنني فاعل بكم؟

قالوا أخ كريم وابن أخ كريم.

فأجابهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فأصبحوا يعرفون بالطلاق،

وكان الرسول (ص) قد أمر علياً بتحطيم الأصنام من على سطح الكعبة، وكان هناك صنم كبير لخزاعة من قوارير فقال لعلي (ع): ارم به، فحمله رسول الله (ص) حتى صعد، فرمى به فكسره، فجعل أهل مكة يتعجبون، ويقولون: ما رأينا أسحر من محمد⁽²⁾.

¹ - سيرة النبي (ص)، أبو محمد عبد الملك بن هشام المتوفي سنة 183هـ، تحفي ودراسة مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 1416هـ، 1995م، ج4 ص24

² - السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي توفي 841هـ، المطبعة الأزهرية (دار المعرفة)، 1381هـ، ج3 ص122-123

حنين: ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم

قال تعالى:

(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغِنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَدَّ بَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) (1).

الأحداث المتوالية على المسلمين تمثل اختباراً لمدى قدرتهم على الصبر، ولمدى عمق إيمانهم بالرسالة، وتظهر الصادقين منهم الثابتين مع رسول الله (ص) المنافحين عنه والذين يلازمونه في اشد ساعات المحنة.

فحين تجمعت هوازن وثقيف لحرب رسول الله (ص) حشد جيشاً قوامه اثني عشر ألف مقاتل لمحاربتهم، لكن هذا الجيش تفاجأ بالهجوم المباغت من هوازن مما أدى لفرار المسلمين جميعاً وتفرقهم عن رسول الله (ص) ولم يبق معه إلا بضعة نفر لم يتعدون عشرة أشخاص من بني هاشم وأيمن ابن أم أيمن، وكان في مقدم الصامدين الإمام علي بن أبي طالب (ع) والعباس بن عبد المطلب.

هؤلاء نفر القليل قلبوا الهزيمة إلى نصر ودافعوا عن رسول الله (ص) ثم ذهب العباس ينادي في الناس ليرجعون.

وكان من بين الفارين أبو سفيان بن حرب الذي أخذها فرصة حين رأى هزيمة المسلمين وقال:

¹ - التوبة 25-26

"والذي يحلف به أبو سفيان لا تنتهي هزيمته دون البحر".

لكن آماله خابت بصمود بني هاشم وكان للإمام علي (ع) الدور الأكبر في هزيمة المشركين حيث قتل أربعين من أبطالهم كما قتل جرول حامل رايتهم فتضعضت نفوسهم.

وكانت الآيات القرآنية تصف ثبات الهاشميين مع الرسول (ص): (تُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ)، نعم هؤلاء هم المؤمنون الذين صمدوا مع الرسول ونصروا راية الحق وقلبوا الهزيمة إلى نصر.

أنت مني بمنزلة هارون من موسى

حين خلف الرسول (ص) عليًا (ع) في المدينة أثناء توجهه لغزوة تبوك، أشاع المنافقون بأنه خلفه مع النساء والصبيان، ولقد كانت تلك فرصة لهم للاختلاء بالمدينة، وكان رسول الله (ص) يدرك مخططاتهم، فقال له حين التحق به وسأله:

"أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، غير أنه لا نبي بعدي"⁽¹⁾.

والعاديات ضبحا

نزلت هذه آيات حين أرسل الرسول (ص) عليًا لردع الأعراب الذين تجمعوا في وادي الرمل لقتال الرسول (ص) وأصحابه في معركة تسمى ذات السلاسل وكان قد أرسل جماعة قبل الإمام علي (ع) منهم أبو بكر

¹ - صحيح البخاري ج 6 ص 3، صحيح مسلم ج 15 ص 175 طبعة بيروت 1981م

وعمر بن الخطاب وعمرو بن العاص فأخفقوا في هزيمة الأعراب لكن الإمام علي (ع) فاجأهم مع تباشير الصباح بهجوم مباغت فهزمهم حتى استسلموا وتم الفتح على يديه، فأنزل الله تعالى:

(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا، فَأَنْزَرَ بِهِ نَعْمًا، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا، إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ، أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِعٌ فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ) (1).

لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك

في السنة التاسعة للهجرة نزل الوحي على رسول الله (ص) بسورة براءة، يأمره بأن يبلغ المشركين بأن لا يحج منهم أحد بعد العام ولا يطوف بالبيت عريان وأن عهد رسول الله معهم يتم إلى مدته.

فأرسل ابا بكر لتبليغ الناس في الحج، لكن الوحي نزل عليه بأنه لا يبلغ عنه إلا هو أو رجل منه، فأرسل الامام علي (ع) ليأخذ سورة براءة من أبي بكر ويبلغها عنه، فذهب علي (ع) وأخذها منه وكان ذلك في ذي حليفة وذي الحليفة ميفات أهل المدينة بينه وبينها ستة أميال، فرجع أبو بكر إلى المدينة، وسار علي (ع) بالآيات إلى مكة.

فلما دخل أبو بكر على النبي (ص)، قال: يا رسول الله إنك أهلنتني لأمرٍ طالت الأعناق إليّ فيه، فلما توجهت إليه رددتني عنه، مالي؟ أنزل في قرآن؟ (2).

فقال (ص): لا، ولكن الأمين جبرائيل هبط إليّ عن الله عزّ وجلّ بأن لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، وعليّ مني ولا يؤدي عني إلا عليّ.

¹ - العاديات 1-11 ، والعاديات من العدو، وهو الجري بسرعة، الضبح؛ صوت أنفاس الخيل عند عدوها.. فالخيل عندما تركض، تحتاج إلى نسبة من الأكسجين الزائد، فتتنفس بشكل متسارع، فتصدر هذا الصوت الذي يسمى ضبحاً.. والمعنى: أقسم بالخيل العادية التي تركض في سبيل الله عز وجل.

² - انظر أنساب الأشراف، الامام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي سنة 279هـ، ج2 ص 384

وحين وصل الإمام علي (ع) إلى مكة قرأ عليهم: (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) وقال: لا يطوف بالبيت عريان ولا عريانة ولا مشرك بعد هذا العام، ولا يطوف بالبيت ولا يحج مشرك بعد هذا العام.

وقال: ومن كان له عهد عند رسول الله (ص) فمدته إلى هذه الأربعة أشهر.

من كنت مولاه فهذا علي مولاه

في العام العاشر للهجرة وبالتحديد في الثامن عشر من ذي الحجة وحين كان الرسول (ص) قافلا من حجة الوداع، توقف عند منطقة تدعى غدير خم، وكان معه ما يربوا على سبعين ألف، وقيل كان عددهم مائة وعشرون ألفا.

توقف رسول الله (ص) بعد أن نزل عليه القرآن بقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (1).

وخطب في الناس خطبة طويلة ثم قال:

أيها الناس ألتست أولى بكم من أنفسكم.

قالوا بلى.

فقال: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار" (2).

وانطلق المسلمون يبايعون الإمام علي (ع) وأولهم عمر بن الخطاب حيث قال "بخ بخ لك يا علي لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة" (1).

1 - المائدة 67

2 - السيوطي، تاريخ الخلفاء، القاهرة 1964، ص169، معاني الأخبار، للشيخ ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق المتوفي سنة 381هـ، صححه الأستاذ علي أكبر الغفاري، ط6، مؤسسة النشر الاسلامي، قم ايران، 1431، معنى من كنت مولاه فعلي مولاه، ص 160 ورواه مسند الإمام أحمد 4 / 281 بطريق آخر. والمستدرك للحاكم 3 / 533، - مجمع الزوائد، الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر بن سليمان الهيتمي المصري، ج9 ص 88

بعد ذلك نزلت الآية الكريمة:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (2).

ينقل صاحب كتاب أنساب الأشراف، أن عليًا قال على المنبر: نشدت الله رجلا سمع رسول الله (ص) يوم غدِير خَم، "اللهم وال من والاه وعاد من عاده"، إلا قام فشهد، وتحت المنبر أنس بن مالك والبراء بن عازب، وجريير بن عبد الله، فأعادها فلم يجبه أحد، فقال: اللهم من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها فلا تخرجه من الدنيا حتى تجعل به آية يعرف بها.

قال: فبرص أنس، وعمي البراء، ورجع جريير أعرابيا بعد هجرته، فأتى السراة فمات في بيت أمه في السراة⁽³⁾.

1 - مسند الإمام أحمد 4 / 281

2 - المائدة 3

3 - أنساب الأشراف، الامام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ج2، ص 386

هل كان الإمام علي (ع) يطلب الحكم لذاته

فيما يؤثر عن الإمام علي (ع) أنّ إمرتكم هذه لا تساوي شسع نعلي ما لم أقم بها عدلا وأدحر باطلا.

بالرغم من أنه كان يدرك بان منصب الخلافة بشقيها الديني والسياسي كانت من نصيبه بتأكيد القرآن الكريم بقوله تعالى:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (1).

حيث قرن الله تعالى ولاية الإمام علي (ع) بولاية الرسول (ص) بولاية الله تعالى، وكذلك وصية الرسول (ص): من كنت مولاه فهذا علي مولاه.

إلا أنّ الإمام علي (ع) يرى بأن السلطة والإمارة ليست مطلبا في حد ذاتها ما لم يقم بها العدل ويدحر الباطل، فلا قيمة لسلطة يستغلها صاحبها للاستئثار الذاتي ولا يستطيع من خلالها ردع البطانة عن الظلم.

كان الإمام علي (ع) مشغولا بتجهيز رسول الله (ص) ودفنه حين اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة وكلّ يسعى لأن تكون الإمارة في جانبه علما بأنه لم يمض وقت طويل من بيعتهم لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) بالولاية، ولكن الطمع في السلطة أنساهم مبايعتهم لعلي (ع) وأنساهم ما يتلونه من قرآن آناء الليل وأطراف النهار وهم يمرون على آية الولاية، وما زال حديث رسول الله يشنّف أسماعهم وأيديهم التي بايعوا بها عليّا (ع) ما زالت تشعرهم بحرارة ذلك اليوم ومع ذلك تنازعوا الأمر وكادت تعود الحميّة الجاهلية بين الأوس والخزرج من أجل السلطة، ومن ثم استغل المهاجرون الموقف وأعلنوا البيعة

لأبي بكر، لتنتهي بذلك بيعة السقيفة والإمام علي (ع) وبعض الصحابة مشغولون بتجهيز ودفن رسول الله (ص).

ولأن الإمام علي (ع) يريد أن يذكرهم ببيعتهم له أمام رسول الله، فقد امتنع عن البيعة وذكرهم بكلام الرسول، لكنهم أصروا عليه ليباع بالتهديد والوعيد وحين امتنع هددوا بحرق الدار عليه بمن فيها، وكان عمر بن الخطاب في مقدمة من أحاطوا بالدار وقام بتهديدهم إما أن يخرجوا للبيعة أو يحرقها عليهم، فقيل له إن فيها فاطمة بنت رسول الله، قال: وان كانت فيها.

فاطمة (ع) التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، والتي قال فيها رسول الله (ص) "فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها"

الفصل الرابع

الحروب في خلافة الإمام علي (ع) وتقواه

معارك الإمام علي (ع)

نقل القاضي الإمام محمد بن الحسين بن مسعود بسنده عن بن مسعود:

خرج رسول الله (ص) فأتى منزل أم سلمة فجاء علي (ع) فقال رسول الله (ص): "يا أم سلمة هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي"⁽¹⁾.

معركة الجمل:

وقعت معركة الجمل في الثاني والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة 36هـ (656م) بالقرب من مدينة البصرة في العراق.

لم يرق لأصحاب المصالح أن يخسروا كل امتيازاتهم في عهد الإمام علي (ع) فهم يشعرون بأن الفوارق الطبقيّة التي خلقت قبل عهد الإمام علي (ع) يجب أن تبقى، وأن المكانة والمنزلة التي تبوعوها يجب أن تستمر من خلال استلام المناصب والاستحواذ على الأموال وهو الأمر الذي يرفضه الإمام علي (ع) فالناس لديه سواسية كأسنان المشط لا فرق بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح.

لذلك لم يرضخ لضغوط طلحة والزبير اللذان حاولا استمالة الإمام علي (ع) بإعطائهما المناصب فرفض ذلك، فقاما بالتأليب عليه، ليدخلوا ضده في أول معركة وهو كارّة لها، فحرّضا السيدة عائشة لقيادة الجيش وهي على جمل بحجة الأخذ بثأر عثمان فسميت معركة الجمل.

¹ - كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة المحقق أبي الحسن الأربلي، ج1 ص 114.

وكان النبي (ص) قد نهى نساءه من الخروج أو المشاركة في الحروب حيث يقول تعالى:

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (1)

وقد حذر رسول الله (ص) نساءه قبل وفاته بأن أحدهن سوف تخرج على جمل وتصل إلى منطقة يطلق عليها "الحوأب" فتتبع عليها كلاب هناك فيقتل اثر ذلك خلق كثير.

ففي رواية عصام بن قدامة البجلي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (ص) لنساءه: "ليت شعري أيتكن صاحبة الجمال الأدب، تخرج حتى تتبجها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وشمالها خلق كثير، كلهم في النار، وتتجو بعد ما كادت".

حين خرجت عائشة وطلحة والزبير على رأس الجيش ووصلوا إلى ماء المنطقة المسماة الحوأب سمعت نباح الكلاب فتذكرت قول الرسول (ص) فأرادت الرجوع لكن قيل بأن طلحة والزبير حاولا إقناعها من خلال شهادات رجال بأن المكان ليس بالحوأب لتعدل عن رأيها وتواصل المسير (2).

وحاول الإمام علي (ع) ثنيهم عن الحرب بشتى الطرق إلا أنهم أصروا عليها، فاضطر لمحاربتهم وقد قتل في المعركة أكثر من عشرة آلاف رجل ومن ضمنهم طلحة والزبير.

1 - الأحزاب 33

2 - تاريخ اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للطبوعات، بيروت لبنان، ط1، 1431هـ، 2010م، ج2 ص79 يقول: ومر القوم في الليل بماء الحوأب، فنبحتهم اكلايه، فقالت عائشة ما هذا الماء؟ قال بعضهم: ما الحوأب، قالت: انا لله وان اليه راجعون، ردوني، ردوني، هذا الماء الذي قال رسول الله لا تتبجك كلاب الحوأب، فأتاها القوم بأربعين رجلا، فاقسموا بأنه ليس ما الحوأب،

كتب الإمام علي (ع) إلى طلحة والزبير: "أما بعد فقد علمتما أنني لم أرد الناس حتى أرادوني، وإنكما ممن أردني وبايعني، وإن العامة لم تبايعني لسلطان غالب، ولا لعرض حاضر"⁽¹⁾.

وكتب إلى عائشة، ليثبثها عن الحرب ويأمرها بالرجوع إلى بيتها:

"بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنك خرجت من بيتك غاضبة لله عز وجل ولرسوله محمد، تطلبين أمرا كان عنك موضوعا، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين، فخبيريني ما للنساء وقود العساكر والإصلاح بين الناس، وطلبت كما زعمت بدم عثمان، لعمرى إن الذي عرضك للبلاء، وحملك على العصبية لأعظم إليك ذنبا من قتلة عثمان، وما غضبت حتى أغضبت، ولا هجت حتى هيجت فاتق الله يا عائشة، وارجعي"⁽²⁾.

لما قدم أمير المؤمنين البصرة، وكانت وقعة الجمل يقال له الخريبة سنة 36 هـ، وخرج طلحة والزبير فيمن معهما، فأرسل إليهم علي: ما تطلبون وما تريدون، قالوا نطلب بدم عثمان، قال علي: لعن الله قتلة عثمان، واصطف أصحاب علي فقال لهم: لا ترموا بسهم، ولا تطعنوا برمح، ولا تضربوا بسيف.

فرمى رجل من عسكر القوم بسهم فقتل رجلا من أصحاب أمير المؤمنين، فأتي به إليه فقال، اللهم اشهد.

ثم رمى آخر، فقتل من أصحاب علي فقال اللهم اشهد.

¹ - الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الأستاذ علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1410هـ، 1990م، ج1، ص90

² - الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، ج1، ص90

ثم رمى رجل آخر فأصاب عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، فأتى به أخوه عبد الرحمن يحمله، فقال علي اللهم اشهد، فكانت الحرب⁽¹⁾.

وأرجع الإمام علي (ع) عائشة مع أخيها محمد ابن أبي بكر إلى بيتها في المدينة صائناً لها بصفتها إحدى أمهات المؤمنين.

وتتجلى أخلاق الإمام علي (ع) مع أعدائه في الحروب حيث أوصى أصحابه في خطبته قبل القتال بقوله: "أيها الناس إذا هزمتهم فلا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، ولا تتبعوا مولياً، ولا تطلبوا مديراً، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا سرّاً"⁽²⁾.

تلك هي أخلاق الإمام التي هي في الواقع أخلاق النبيين والصدّيقين، فالجرحى يجب أن تصان كرامتهم ولا تمتن إنسانيتهم ويحافظ عليهم وأن لا يجهز عليهم فانهم قد وقع منهم الوهن ولا مقاومة لضعيف فلا يقتل، وأما الأسرى فانه ملا حيلة لهم ويجب على من يأسرهم إلا يقتلهم، ومن يهرب من الحرب فقد نجى بنفسه ومن الأخلاق ألا يتم إتباعه، وأوصى أصحابه بعدم كشف عورات أعدائهم وعدم التمثيل بالقتلى أو هتك الستر، فأى خلق أكبر من هذا، ولو كان لدى أعدائه عقول يفكرون بها لتخلّوا عن المعسكر الآخر وارتبطوا بمعسكر الحق الذي يمثّله الإمام فقد قال رسول الله (ص):

"عليّ مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار".

ويتجلى موقف الإمام علي (ع) من الناكثين لبيعته من خلال خطبة ألقاها بعد خبر الناكثين لبيعته:

¹ - تاريخ اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، ج 2 ص 80

² - المسعودي، مروج الذهب، ص 358.

"ألا وإن الشيطان قد ذمر حزيه و استجلب جلبه، ليعود الجور إلى أوطانه ويرجع الباطل إلى نصابه، والله ما أنكروا على منكرا لولا جعلوا بيني وبينهم نصفا، وإنهم ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه. فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم فيه، و لئن كانوا ولّوه دوني فما التبعة إلا عندهم، وان أعظم حجتهم لعلي أنفسهم يرتضعون أمّا قد فطمت ويحيون دوني بدعة قد أميتت، يا خيبة الداعي من دعا لإلام أجيب، واني لراض بحجه الله عليهم وعلمه فيهم، فان أبوا أعطيتهم حد السيف و كفي به شافيا من الباطل و ناصرا للحق، ومن العجب بعثهم إلى أن أبرز للطعان وان اصبر للجلاد، هبلتهم الهبول، لقد كنت و ما اهدد بالحرب لولا ارهب بالضرب، واني على يقين من ربي و غير شبهه من ديني"⁽¹⁾.

يقول الشيخ ميثم: أقول: اكثر هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا انه (ع) خطبها حين بلغه أن طلحه والزبير خلعا بيعته، وقد جلب الشيطان حزيه واستجلب خيله ومن أطاعه ليعود له دينه وسنته وخدعه، وقد رأيت أمورا قد تمحّضت والله ما أنكره عليّ منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا، وإنهم ليطلبون حقا تركوه ودما سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه، وان كانوا ولّوه دوني فما الطلبة إلا قبلهم، وان أول عدلهم لعلي أنفسهم⁽²⁾.

وأوضح الإمام علي (ع) بغيهم عليه، وأنه سيقدّم لهم النصيحة فان قبلوها فالتوبة مبدولة "واني داعيهم فمعدر إليهم فان تابوا وقبلوا وأجابوا وأتابوا فالتوبة مبدولة والحق مقبول وليس عليّ كفيل، وان أبوا أعطيتهم حد السيف و كفي به شافيا من باطل".

1 - نهج البلاغة، شرح الشيخ ميثم البحراني ج 1 ص 401

2 - المصدر نفسه، ج 1 ص 402

معركة صفين:

الطمع والجشع في المال والملك هما اللذان دفعا معاوية لأن معاوية بن أبي سفيان لأن يدوس على كل المبادئ والقيم الدينية والإنسانية، حتى لو تجسدت تلك القيم في شخصية عظيمة كالإمام علي (ع)، فههدف معاوية هو الوصول إلى الملك بأي طريقة حتى لو كان ذلك بالقتل والخداع ومحاربة الله ورسوله.

"إن الله جنود من عسل" تلك هي العبارة التي كان يحارب بها معاوية أعدائه، فأسلوب الاغتيالات ليس بالضرورة أن يكون بالسيف، بل بدس السم في العسل وقتل القادة الموالين للإمام علي (ع)، بل لقد مارس هذا الأسلوب حتى مع الإمام الحسن بن علي (ع).

ولم يتورّع في سبيل تحقيق أهدافه من استخدام كل أساليب الترهيب والترغيب، فمن يستطيع شرائه بالأموال فإن أموال المسلمين مباحة له يتصرّف فيها كيف يشاء لشراء الذمم والنفوس كما فعل مع القائد في جيش الإمام الحسن (ع) عبيد الله بن العباس، ومن لم يستطع شرائه بالأموال فإن مصيره القتل سواء بالسيف أو بطريق الاغتيال عن طريق الحيلة والخداع، ومن يقف في وجهه معترضا على سياسته فالتهديد يأتيه بصورة مباشرة.

وقد انسلخ من كل القيم والمبادئ الإنسانية لدرجة منع خصومه من الماء حين سبقهم إليه، حيث نزل بمن معه عند نهر الفرات في وادي صفين واستولى على الماء، بينما نزل الإمام علي (ع) في مكان لا يبعد عنه كثيرا، وحال معاوية بين أهل العراق والماء، ومنعهم من أن يشربوا منه ولو قطرة واحدة، فأضّر بهم وبدوابهم العطش، وأرسل إليهم الإمام علي (ع) إنا لم نأت هذه الأرض لنسيطر على الماء والكلأ ولو سبقناكم إليه لا نمنعكم منه.

ومن ضمن ما قاله معاوية "لا سقاني الله منه إن شربوا منه حتى يغلبوني عليه، والله لا تذوقون منه ولا قطرة حتى تموتوا عطشا"⁽¹⁾، وحين لم يجد الإمام بدًا من المواجهة لفتح الطريق للماء أرسل عددا كبيرا من جيشه فاستطاعوا إبعاد جيش معاوية عن الماء، وحاول البعض اقناع الإمام بمنعهم من الماء نكاية بما فعلوه، لكنّه أبقى لإدراكه بأن الماء مباح للجميع.

وكان مع علي يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلا، وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل، ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل، ولم يكن مع معاوية من الأنصار إلا النعمان بن بشير، ومسلمة بن مخلد⁽²⁾.

بدأت معركة صفين بين الثامن والعاشر من صفر سنة 37 هجرية (657 م)، وفيما يبدو كان الجيشان على أهبة الاستعداد وقد حشدا كل قواهما من خلال إعداد أكبر عدد من المقاتلين الذين يصل عددهم في جيش الإمام علي (ع) ما يقارب 80000 مقاتل وعدد جيش معاوية ما يقارب 120000 مقاتل. ووضع كلّ منهما قائدا على جيشه فجيش الإمام علي (ع) كان قائده مالك الأشتر وقائد جيش معاوية ابن أبي سفيان عمرو ابن العاص.

ومن الأخلاق التي تتمتع بها الإمام علي (ع) في هذه المعركة أن معاوية كان يسب الإمام ويأمر جيشه بسب الإمام وشتمه، فردّ عليهم بعض جنود الإمام بالمثل، إلا أن الإمام قال لهم:

¹ - تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي ج 2 ص 87

² - المصدر نفسه، ج 2 ص 88

"إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وأضاف إلى ذلك: قولوا مكان سبّكم:

اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغيِّ والعدوان من لهج به".

كان الإمام يتردد في القتال حتّى ظنّه البعض جبنا، لكنه أجابهم:

"فو الله ما دفعت الحرب يوما إلا أنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو على ضوئي وذلك أحب إليّ من أن أقاتلها على ضلالها وان كانت تبوء بآثامها".

لم يكن الإمام يحب النصر بالبغي لذلك كان يقول من ضمن كلامه: "اللهم إن أظهرتنا على عدونا فجنّبنا البغي وسدّدنا بالحق".

ومن ظاهر الإعداد لهذين الجيشين يتّضح بان المعركة ستكون طويلة وقاسية وسيسقط فيها العديد من المقاتلين من الطرفين، لذلك حاول الإمام علي (ع) ضبط النفس لتجنّب إراقة الدماء، إلا أن معاوية حاول استفزاز جيش الإمام لأكثر من مرّة، والإمام يأمر أصحابه بضبط النفس، ولكن وبسبب عناد وتعنّت معاوية حدثت الحرب التي كان فيها معاوية الخاسر بسبب شجاعة جيش الإمام علي (ع) فبعد ثلاثة أيام من المعارك الشرسة والمستمرة ليلا ونهارا، بدأ الانهيار واضحا في جيش معاوية.

واستمرت المعركة عدّة شهور سقط خلالها ما يقارب ستين إلى مائة ألف من الطرفين، وكان لمالك الأشتر دورا كبيرا في حشد همم المقاتلين لمواجهة جيش معاوية حيث خطب فيهم قائلا:

"إنّ هؤلاء القوم لا يقاتلونكم إلاّ عن دينكم ليميتوا السنّة، ويحيوا البدعة، ويعيدوكم في ضلالة قد أخرجكم الله عزّ وجلّ منها بحسن البصيرة، فطيبوا عباد الله أنفساً بدمائكم دون دينكم، فإنّ ثوابكم على الله، والله عنده جنّات النعيم، وإنّ الفرار من الزحف فيه السلب للعزّ والغلبة على الفيء، وذلّ المحيي والممات، وعار الدنيا والآخرة".

وممّن شهد القتال مع الإمام علي (ع) المهاجرون والأنصار وفي مقدّمهم عمّار بن ياسر الذي قال:

"والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أننا على الحق وهم على الباطل"⁽¹⁾.

في هذه المعركة افتضح أمر معاوية، لأن الرسول (ص) كان قد وضع مقتل عمار بن ياسر ميزانا لمعرفة الفئة المحقة من الفئة الباغية، ولعلّ مرجع ذلك لتعريف الناس خصوصا أولئك الذين قد تنزلت نفوسهم بسبب الشعارات الخادعة والكلمات الرنانة فيقعون في الشبهة، لذلك قال قبل وفاته:

"يا عمار تقتلك الفئة الباغية"

وحين استشهد عمّار ابن ياسر وهو يقاتل إلى جانب الإمام علي (ع) كان ذلك فضيحة كبرى لمعاوية الذي أصبح يمثّل الفئة الباغية ولكن ذلك يحتاج الى نفوس تعقل الحق وتتقبّله لتتراجع عن الظلم وتميل إلى الحق الذي يمثّله الإمام علي (ع).

ولأن معاوية ومستشاره عمرو ابن العاص لا يعرفان الا الغدر والخداع فإنهما حين أيقنوا بالهزيمة، أشار ابن العاص على معاوية برفع المصاحف حتى يخدع السدّج فيضغطون على الإمام علي (ع) لوقف الحرب والقبول بالتحكيم، وكان الإمام علي (ع) واعيا لما يخطط له معاوية فقال لأصحابه بأنها خدعة..لكن هناك

¹ - تاريخ اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي ج2 ص 88

بعض ضعاف النفوس ممن انطلت عليهم خدعة معاوية أخوا على الإمام علي (ع) لإيقاف الحرب والقبول بالتحكيم، وكان مالك الأشتر قاب قوسين أو أدنى من تحقيق النصر والوصول إلى مقر قيادة معاوية، لكنه اضطر للرجوع بعد أن أرسل له الإمام علي (ع).

وكان مما قاله الإمام علي (ع) لهم: "عباد الله، إني أحقّ من أجب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وإني اعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً، فكانوا شرّ الأطفال وشرّ الرجال، إنهم كلمة حقّ يُراد بها باطل، إنهم والله ما رفعوها، إنهم يعرفونها ولا يعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة، أعيروني سواعدكم وجماعكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحقّ مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا".

وفي التحكيم ضغط أولئك على الإمام لإرسال أبي موسى الشعري علماً بأنه لا يمتلك الشخصية الحوارية التي تستطيع مجاراة دهاء عمرو بن العاص، ومما يؤسف له كان لضغوط أولئك النفر في جيش الامام علي (ع) اثراً في استبعاد مالك الأشتر أو عبد الله بن عباس أو الأحنف بن قيس عن التحكيم والقبول بشخصية ضعيفة كابي موسى الأشعري الذي انطلت عليه خدعة عمرو بن العاص بسبب بساطة تفكيره، فقام بخلع الإمام علي (ع) ومعاوية أمام الملاء بعد أن خدعه عمرو ابن العاص بحجة أنه لا يتقدم على صحابي كان مع رسول الله (ص)، وبعد استغفاله قام ابن العاص بخلع الإمام علي وتثبيت معاوية، وكان ممن مارسوا الضغط الأشعث بن قيس وهو ممن لهم تاريخ حافل بالتقلبات فلقد أسلم في حياة الرسول (ص) وارتدّ بعد وفاته مع المرتدين وحارب المسلمين، وبعد هزيمة المرتدين عاد إلى المدينة وأعلن رجوعه إلى الإسلام، وصاهره أبو بكر على أخته أم فروة، وأهمله عمر بن الخطّاب وعاد إلى الظهور في عهد عثمان فولاه بعض المقاطعات، وعزله الإمام علي عنها، وبقي في الكوفة لكن الإمام كان يراقب تصرّفاته بحذر.

وحاول الإمام علي (ع) توعية الناس إلى المكيدة التي قام بها عمرو ابن العاص كما حاول تذكيرهم بأنه لم يقبل بابي موسى الأشعري إلا أنهم خالفوه، وقال بأن هذين الحكمين قد خالفا كتاب الله ونبذاه وراء ظهورهما فكان حكمهما لا يستند لدليل شرعي بل إلى الهوى، وحاول استنهاض الناس للقتال:

"ألا أن هذين الحكمين قد نبذا كتاب الله وراء ظهورهما فأماتا ما أحيا القرآن وأحييا ما أمات، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير بيّنة ولا سنّة ماضية وكلاهما لم يرشدا فبرئا من الله ورسوله وصالح المؤمنين فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير وأصبحوا في مواقفكم".

إلا أن تلك الفئة التي أجبرته على التحكيم وأجبرته على القبول بابي موسى الأشعري، هي التي اتهمت الإمام علي (ع) بالحكم بغير كتاب الله وخرجت عليه لتنتهياً لقتاله.

ومن المهم الإشارة إلى تغلغل حب الدنيا في معاوية وابن العاص فلم يبايع عمرو بن العاص معاوية إلا بعد أن أخذ منه موثقا بولاية مصر، فالبيعة كان لها ثمن بين الرجلين، الأوّل يهب الأموال والضياع والألوية لمن يبيع "الضمير" والثاني يشتري الدنيا ببيعة يعرف سلفا أنها بيعة "باطل" ولكن الدنيا وزخرفها التي تجعل من الرجلين يتحالفان فأحدهما يبيع والآخر يشتري والبضاعة هي أموال المسلمين وأراضيهم، ولكن كل ذلك يرخص في سبيل الملك والاستتار والطمع والجشع.

وقد وصف الإمام علي (ع) هذه البيعة من عمرو لمعاوية بقوله: "ولم يبايع حتى شرط أن يؤتية على البيعة ثمنا، فلا ظفرت يد البائع وخزيت أمانة المبتاع، فخذوا للحرب أهبتها وأعدّوا لها عدّتها".

وقال في الموضوع نفسه: "لقد نمت إليّ أن عمرا لم يبايع معاوية حتى شرط عليه أن يؤتته أتاوة هي أعظم مما في يديه من سلطانه فصرفت يد هذا البائع دينه بالدنيا، وترتبت يد هذا المشتري نصره غادر فاسق بأموال الناس".

موقعة النهروان "قتال المارقين"

تذّرت الفئة التي أجبرت الإمام علي (ع) بقبول الحكمين بنتائج التحكيم، وادّعوا بأنهم أخطئوا وتابوا إلى الله وعلى الإمام أن يتوب إلى الله تعالى كما تابوا، وحين أبى الاستجابة لطلبهم انفصلوا عنه في مكان يدعى حروراء.

حاول الإمام إقناعهم من خلال إرسال ابن عباس دون جدوى ومن ثم ذهب إليهم بنفسه وقد رجع معه بعضهم، إلا أن الباقيين أصروا على تكفير الإمام والإعداد لقتاله، وقد ارتكبوا من الفظائع قبل قتال الإمام ما يندى له جبين الإنسانية.

حيث لقوا عبد الله بن خباب بن الأرت وفي عنقه كتاب الله ومعه امرأته وهي حامل في شهرها الأخير، فذبحوه على شاطئ النهر لأنه يقول خيرا في علي (ع) وبقروا بطن زوجته وذبحوها مع جنينها إلى جانب زوجها، بينما يتورعون من قتل رجل منهم لخنزير وقالوا ان ذلك فساد في الأرض⁽¹⁾.

لذلك سار إليهم الإمام وطلب منهم تسليم قتلة عبد الله بن خباب فأبوا وقالوا كلنا قتلته، فمضى إليهم وذكرهم بأنه حدّهم من التحكيم ونتائجه وأن ذلك كان خدعة من معاوية فأصروا على التحكيم وأنه وافق على الحكمين مكرها لكنّه اخذ منهما موثقا أن يحييا ما أحياه القرآن وأن يميتا ما أماته، ولما خالفا حكم الكتاب السنّة وعملا بالهوى نبذنا أمرهما وبقينا على أمرنا الأول وها أنا عائد إلى حرب معاوية وأتباعه.

فقالوا: إنا حيث حكمنا الرجلين أخطأنا وكفرنا وقد تبنا إلى الله من ذلك، فان شهدت على نفسك بالكفر وتبت كما تبنا فنحن معك ومنك.. وإلا فاعتزلنا، وان أبيت فنحن منا بذك على سواء.

¹ - الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير المتوفى 630هـ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1407هـ، 1987م، ج3 ص218

فقال لهم: أبعد إيماني بالله وهجرتي وجهادي مع رسول الله أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين⁽¹⁾.

ثم قال لهم: وبحكم بما استحللتم قتالنا والخروج عن جماعتنا؟ فلم يجيبوه.

وتنادوا من كل جانب: الرواح إلى الجنة وشهروا السلاح على أصحابه وأثخنوهم بالجراح، فاستقبلهم الرماة بالنبال والسهم حتى شدّ عليهم الإمام علي (ع) وأصحابه فهزموهم شرّ هزيمة، فتحقق ما قاله أمير المؤمنين قبل المعركة لأصحابه بأنه لا يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة.

وفي هؤلاء القوم قال رسول الله (ص):

"سيكون في أمّتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، هم شرّ الخلق طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم"⁽²⁾.

1 - الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج3، ص 220، سيرة الأئمة الاثنا عشر، هاشم معروف الحسني، ج 1، ص444

2 - كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة المحقق أبي الحسن الأربلي، ج1، ص 116

الفصل الخامس

العدالة والحقوق عند الإمام علي (ع)

مقارنة بين حقوق الإنسان في القانون الدولي مع حقوق الإنسان عند الإمام علي (ع)

مسألة حقوق الإنسان تحظى بأهمية كبرى لدى الشرائع السماوية والمبادئ الوضعية، لأن الإنسان هو المحور الذي تسعى كل الأديان والمبادئ بما لديها من شرائع وقوانين لإسعاده ولتوفير الحياة الحرة والكرامة له.

لذلك اعتبر الدين الاسلامي بأن الانسان له قداسة في الحياة وهو مكرم عند الله تعالى حيث يقول:

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (1).

واعتبر الدين الاسلامي حياة الانسان مقدسة وحرّم قتل النفس واعتبرها بمثابة قتل الناس جميعا:

(مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا، وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) (2).

بل حفظ الدين الإسلامي كرامة الإنسان حتى في غيابه فاعتبر من يمارس الغيبة كمن يأكل لحم أخيه ميتًا:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِمَّا ظَنَّنَا بِكُمْ أَنْ تَفْعَلُوا وَإِنَّ لَكُمْ لَأَكْلَ لَحْمِ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُمْ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) (3).

وأمر الدين الاسلامي بأداء الأمانات الى أهلها والحكم بين الناس بالعدل:

1 - الاسراء 70

2 - المائدة 32

3 - الحجرات 12

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) (1).

وأمر بالقصاص العادل:

(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (2).

ويجب أن يكون القصاص بالقدر نفسه:

(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (3).

من هذا المنطلق يتضح بأن الدين الإسلامي وضع ضوابط عملية لحماية حقوق الإنسان ولم يضع التأطير النظري ويترك للإنسان تقييم الممارسة العملية التي قد تدخل فيها الأهواء وتغلب المصالح فتتقلب المفاهيم كما يجري في عالمنا الآن.

يقول أحد الباحثين:

"لابد لنا من القول أن ظهور الإسلام أوائل القرن السابع الميلادي، يعد ثورة حقيقية في سبيل تدعيم وترسيخ حقوق الإنسان، فعلى الرغم من الانحرافات التي تعرضت لها المسيرة الإسلامية بعد وفاة الرسول محمد (ص) إلا إن مبادئ حقوق الإنسان وجدت في الإمام علي بن أبي طالب وثلة من المؤمنين الأوائل الدعاة

1 - النساء 58

2 - البقرة 179

3 - المائدة 45

والممارسين لحقوق الإنسان حتى يمكن عدهم حماة وحصونا حفظوا للأمة جزءا مهما من عقيدة الإسلام ونظرتة لحقوق الإنسان⁽¹⁾.

ولأن العالم قد خاض مخاضات عسيرة آذت الوجود الإنساني برمّته ودخل في أتون حروب أحرقت الأخضر واليابس وكانت أعظمها الحرب العالمية الأولى التي حصدت تسعة ملايين إنسان؛ وتفاقم معدل الإصابات بسبب التطور التقني والصناعي للمتحاربين، وتعد أحد أعنف صراعات التاريخ، وتسببت في التمهيد لتغييرات سياسية كبيرة تضمنت ثورات في العديد من الدول، والحرب العالمية الثانية التي قدر عدد ضحاياها بأكثر من 60 مليون قتيل مثلوا في ذلك الوقت أكثر من 2.5% من إجمالي تعداد السكان العالمي.

لذلك أدركت الإنسانية أن هناك حاجة لصياغة ميثاق لحفظ الحق الإنساني في الحياة وتجريم الحروب، ولإدراك الدول بأهمية حرية الفرد والجماعة في التعبير عن آرائهم بعيدا عن أجواء الخوف والتهديد فقد توافقت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على الميثاق العالمي لحقوق الإنسان والعهدين الدوليين ومجموعة من الاتفاقيات التي تمثل إطارا مرجعيا لحفظ الحقوق الأساسية للإنسان وتمثل في حال التصديق عليها مرجعا للقوانين المحلية حيث تلزم الدول الأعضاء المصدقة على تعديل قوانينها بحيث تتواءم مع المعايير الدولية.

ولعلّ الظهور المبكر لفكرة حقوق الإنسان على المستوى العالمي كان في "إعلان الاستقلال الأمريكي عام 1776م وفيه بعض الحقوق كحق الحياة، والحرية، ومبدأ المساواة بين الناس وان صلاحية الدولة مستمدة من الشعب ثم جاء بعد ذلك إعلان (الدستور الأمريكي) عام 1787م حيث تعدل عدة مرات مع ما يحتوي عليه

¹ - حقوق الإنسان عند الامام علي (ع)، د.غسان السعد، ط2، بغداد، العراق، 1428هـ، 2008م، ص40

من حقوق مهمة مثل حرية العقيدة وحرمة النفس والمال والمنزل وحرية التقاضي وتحريم الرق لغاية سنة 1789م⁽¹⁾.

وكان للثورة الفرنسية فضل سبق على المواثيق الدولية في إعلان وثيقة حقوق الإنسان 'ففي العام 1789 صدرت في فرنسا وثيقة حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي التي بدأت بعبارة (يولد الناس أحرارا ومتساوين في الحقوق) وقد حرص الفرنسيون على هذا الإعلان وما تضمنه من حقوق ووضعوه في مقدمة دستورهم عام 1791م⁽²⁾.

وقد تضمنت الشريعة الدولية الحقوق الأساسية التي تكفل العيش الكريم للفرد وللجماعة منها تجريم التمييز بكافة أشكاله والحق في الحياة وتجريم التعذيب وبطلان المحاكمة على أثره والحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة والحق في العمل والسكن والشعب مصدر السلطات والحق بتقرير المصير والحق في إدارة الثروات وحرية التعبير وحرية الانضمام إلى الجمعيات والنقابات.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هو وثيقة حقوق دولية تمثل الإعلان الذي تبنته الأمم المتحدة 10 ديسمبر 1948 في قصر شايو في باريس. الإعلان يتحدث عن رأي الأمم المتحدة عن حقوق الإنسان المحمية لدى كل الناس.

ومما جاء في ديباجة الاعلان العالمي لحق الانسان:

لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم.

1 - حقوق الانسان عند الامام علي (ع)، د.غسان السعد، ط2، بغداد، العراق، 1428هـ، 2008م ص 41

2 - المصدر نفسه ص 41

ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفرع والفاقة.

ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم.

ولما كان من الجوهرى تعزيز تنمية العلاقات الودية بين الدول، ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقى الاجتماعى قدماً وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.

ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسية واحترامها.

ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد.

فإن الجمعية العامة تتادى بهذا الإعلان العالمى لحقوق الإنسان على أنه المستوى المشترك الذى ينبغى أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان

نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ إجراءات مطردة، قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها⁽¹⁾.

ونصت المادة 2 من الميثاق على أن:

لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء. وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي لبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

ولكن هل استطاعت هذه المواثيق والعهود حفظ حق الإنسان في العيش بأمن وأمان والحياة الكريمة بعيدا عن أجواء التوتر والخف والفاقة، في ظل عدم وجود مبادئ تلزم تطبيقها وفي ظل تغليب المصالح لدى الدول المتتفذة؟

هذا ما سيتضح من خلال استعراض التجارب العالمية ومقارنتها بحكومة الامام علي (ع).

¹ - الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: هو وثيقة حقوق دولية تمثل الإعلان الذي تبنته الأمم المتحدة 10 ديسمبر 1948 في قصر شايو في باريس.

الحروب بعد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

مع غياب المبادئ والأخلاق فلا يمكن لحقوق الإنسان تصمد أمام المصالح خصوصا أثناء الحروب وبعدها..

الدول التي من المفترض أن تكون راعية لحقوق الإنسان وهي التي تتحكم في مجلس الأمن الدولي ولديها حق النقض الفيتو على القرارات، هي التي تمارس أبشع أنواع الظلم والاضطهاد ضد البشرية وهي التي تنتهك كل القيم والمبادئ الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهود الدولية لأن الضوابط تنتفي عند المصالح..

بينما المبادئ القرآنية والممارسات العملية لرسول الله والإمام علي (ع) أثبتت بأن للحروب أخلاق ولإنسانية حقوق، وهذا ما سيتضح من سيرة الإمام علي (ع) مع ولاته وكيف كان ينصحهم ويحاسبهم ويعزل المخالفين منهم ويجعل الناس رقيبة عليهم.

وهي المدرسة التي تعلم منها من رسول الله (ص) الذي كان معلما للأخلاق سواء في الحرب أو السلم، وامتدحه القرآن الكريم في مواضع كثيرة:

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (1).

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (2).

1 - القلم 4

2 - آل عمران 159

فهل يستطيع الإنسان أن يعيش في ظل أنظمة تغيب فيها المبادئ والأخلاق حتى لو كانت القوانين تحفظ له سبل العيش الكريم..

لننظر إلى الممارسات بعد صدور الإعلان ونرى كيف عانت الإنسانية من الدول الكبرى التي تتشدد بنشر مبادئ الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان.

بريطانيا ظلت مستعمرة للعديد من البلدان الإسلامية والعربية حتى بعد صدور الإعلان العالمي ولم تخرج إلا في فترة السبعينيات من القرن الماضي مع وضع حاميات لها في الدول التي تخرج منها، وبريطانيا هي التي مهّدت للصهاينة باحتلال فلسطين من خلال وعد بلفور المشؤوم وهي التي بقيت داعمة لهم في جميع الحروب التي خاضوها خلال السنوات 1956 و1967 و1973، والحروب التي تلتها والاعتداءات البشعة للصهاينة على الفلسطينيين وعلى لبنان.

وبريطانيا هي التي وقفت إلى جانب الملكية في اليمن وحاربت القبائل اليمنية والشعب اليمني وقتلت العديد من اليمنيين خلال الحرب الأهلية اليمنية (1962-1970) وهي التي شاركت في العدوان الثلاثي على مصر 1956 وهي التي احتلت جزر فوكلاند سنة 1982م¹، وما زالت بريطانيا تدعم الأنظمة الديكتاتورية والقمعية في الشرق الأوسط ضد الشعوب التي تتطلع وتتاضل من أجل الحرية والديمقراطية.

¹ - أنظر حرب الفوكلاند، موسوعة ويكيبيديا الحرة.

أما فرنسا فان جرائمها بحق الإنسانية لا تحصى فهي احتلت البلدان العربية وقتلت أكثر من مليون جزائري حتى تحرر الشعب الجزائري من هيمنتها بعد أن قدم كوكبة من الشهداء خلال (1954-1962)⁽¹⁾، وهي التي شاركت في العدوان الثلاثي على مصر وهي التي دعمت الميلشيات المسلحة في لبنان أبان الحرب الأهلية (1975 - 1990).

والاتحاد السوفييتي قبل أن يتفكك غزا أفغانستان وأعمل فيها الدمار حيث شرد وقتل أهلها ودمّر بنيتهما حتى اضطر أخيرا إلى الانسحاب بعد أن دمر البلاد.

ولم تستطع القوانين الدولية أن توقف الحرب بين الأقطاب المسيطرة على العالم فقد نشبت الحرب الباردة بين القطبين الغربي بقيادة أمريكا والشرقي بقيادة الاتحاد السوفييتي حتى انهار الاتحاد السوفييتي فدخل العالم في حقبة أحادية القطبية التي تزعمتها الولايات المتحدة لتزيد الجرائم في العالم.

الحرب الباردة حولت إلى حرب جاسوسية بين القطبين وسباق تسلح لم يسبق له مثيل لدرجة أن العالم أصبح يحبس أنفاسه من نشوب حر نووية تحرق الأخضر واليابس خصوصا وأن التدخلات من القطبين في الدول تتوجج هذا الصراع.

الولايات المتحدة أشعلت حربا أهلية في اليونان، ذهب ضحيتها 154 ألف شخص، وأودع حوالي 40 ألف إنسان في السجون، و6 آلاف أعدموا بموجب أحكام عسكرية.

¹ - أنظر ستون عاما على انطلاق حرب تحرير الجزائر، فرانس برس 31 أكتوبر 2014م، موقع العربي الجديد الالكتروني.

وجرائم الولايات المتحدة الأمريكية اكبر من أن تحصى فهي الداعم الأكبر للكيان الصهيوني في حروبه ضد الفلسطينيين وضد اللبنانيين وهي التي ساندت الغزو العراقي لإيران ووقفت ضد تطلعات الشعب الإيرانية في الحرية والديمقراطية.

سببت حرب فيتنام مقتل 160 ألف شخص، وتعذيب وتشويه 700 ألف شخص، واغتصاب 31 ألف امرأة، ونُزعت أحشاء 3.000 شخص وهم أحياء، وأُحرق 4.000 حتى الموت، وهوجمت 46 قرية بالمواد الكيماوية السامة.

وأدى القصف الأمريكي "لهانوي" في فترة أعياد الميلاد، وعام 1391هـ إلى إصابة أكثر من 30 ألف طفل بالصمم الدائم. وقتل الجيش الأمريكي المدرب في "غواتيمالا" أكثر من 150 ألف فلاح، ما بين عام 1385هـ و عام 1406هـ.

وارتكب الأمريكان المجازر البشعة، في حرب الخليج الثانية ضد العراق، فقد استخدمت أمريكا متفجرات الضغط الحراري، وهو سلاح زنته 1500 رطل. وكان مقدار ما ألقى على العراق من اليورانيوم المنضب أربعين طنًا، وألقي من القنابل الحارقة ما بين 60 إلى 80 ألف قنبلة، قتل بسببها 28 ألف عراقي. وقتل الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال الفلسطينيين بالسلاح الأمريكي. وقتل الآلاف من اللبنانيين واللجائين الفلسطينيين في المجازر التي قامت بها إسرائيل بحماية ومباركة أمريكية.

فيما قدرت بعض الجهات أن قتلى العراق على سبيل المثال بلغ 2 مليون مدني منذ بداية الحرب في 2003.

وقد ارتكب الكيان الصهيوني المدعوم من أمريكا مجازر لا تحصى فمنذ مجزرة دير ياسين مروراً بمجزرة صبرا وشتيلا ومجزرة قانا ومجزرة الحرم الإبراهيمي بالإضافة إلى الحرب على لبنان واحتلال أراضييه والحرب على غزة وتدمير البنى التحتية فيها، كل ذلك تحت أنظار العالم المتحضر الذي فقد كل ما له علاقة بالإنسانية وحقوقها.

القرآن الكريم والعدالة بين الناس:

لم يترك القرآن الكريم حياة البشر من دون الاهتمام بتحقيق العدالة بين الناس، باعتبار العدالة هي الأس الذي تنتظم من خلاله حياة البشر وغيابها يعني الفوضى والدمار كما أشرنا سابقا في الحروب التي قام بها العالم المتحضر، لذلك كان الاهتمام الأكبر بتحقيق العدالة مصحوبا بالإحسان وهو أوسع من العدالة فإن العدل هو المساواة في المكافأة إن خيرا فخير وإن شرا فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه، بالإضافة إلى مجموعة من النواهي التي تحفظ الكرامة الإنسانية فليس هناك مجال في العرف الإسلامي للفحشاء والمنكر والبغي، ونقصد بالبغي ما يفيد معنى الاستعلاء و الاستكبار على الغير ظلما وعتوا:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (1).

وأمر المؤمنين بالقسط والشهادة لله حتى ضد النفس والوالدين والأقربين، وهي قمة الإنسانية التي تحفظ للبشر حقوقهم حتى ضد النفس أو أقرب المقربين مما يعني أن الإنسان في ظل هذه القوانين لا يخشى على نفسه حتى في الوقوف أمام القضاء خصما للحاكم في ظل عدالة الإسلام التي طبقت في زمن الرسول (ص) والإمام علي (ع) كما طبقت في زمن الأنبياء السابقين:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (2).

واهتم الإسلام بضعفاء الناس وأمر بحفظ أموالهم كاليتامى، كما أمر بالإيفاء بالميزان حتى لا تبخس الناس أشياءهم:

1 - النحل 90

2 - النساء 135

: (وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (1).

أما يوم القيامة فإن العدالة أشمل وأوسع، وهذه ضابطة كبيرة للحفاظ على حقوق البشر فالحاكم الظالم والمستأثر بأموال الناس، لا يعتقد بأن حاله سيكون أفضل من أولئك الضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، فالميزان يوم القيامة يتسم بالعدالة الكبرى التي تعتبر الناس سواسية ومسئولون عن أعمالهم حتى لو كان بمقدار ذرة من خردل والخردلة كما يقال أن الحس لا يدرك لها ثقلا، إذ لا ترجح ميزانا ومع ذلك يأتي بها الله تعالى، مما يعني أن الحساب لن يكون هيئا وأن العدالة ستشمل الجميع دون استثناء:

(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ) (2).

وهنا تشير الآيات القرآنية إلى أن الخير والشر مهما صغر حتى لو كان بمقدار ذرة فإن مرتكبه سيراه يوم القيامة:

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (3).

وإزاء هذا الحساب فإن أداء الأمانة للإفلات من العقاب والحكم العادل أمران ضروريان لا مندوحة عنهما لأنهما يقعان تحت سمع وبصر الله تعالى الذي حذر المؤمنين بأن مقدار الذرة لن يترك فكيف بالأمانات التي تعتبر من أكبر الأمور التي أمر بها القرآن الكريم لما لها من أثر في تماسك المجتمع وحصول الثقة بين

1 - الأنعام 152

2 - الأنبياء 47

3 - الزلزلة 7-8

أبنائه، كما أن العدالة تشيع الأمن والأمان بين الناس وتجعلهم يعيشون مطمئنين غير خائفين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)⁽¹⁾.

ولا يمكن لكل القوانين الوضعية أن تصل إلى مستوى السماحة التي يتصف بها الدين الإسلامي، فالقرآن يأمر الأتباع الحقيقيين بعدم رد الإساءة بالإساءة بل يقول ادفع بالتي هي أحسن، لكي يقضي على العداوات بين البشر:

(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)⁽²⁾.

ومن هذا المنطلق فإن رسول الله (ص) يعتبر الناس سواسية لا فرق بينهم بسبب الجنس أو اللون أو المنطقة والقبيلة، فالفضل هو في التقوى التي تجعل الإنسان أقرب إلى القيم السمحة التي تحفظ الحقوق "الناس سواسية كأسنان المشط، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم.." ⁽³⁾

وفي هذا الصدد يقول الإمام علي (ع) "الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق"⁽⁴⁾.

1 - النساء 58

2 - فصلت 34-35

3 - شرح العقيدة الطحاوية، علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، حققه وقدم له الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، دار الرسالة، 1417هـ، 1997م، ج2، ص510 يذكر الحديث بصورة مقاربة.

4 - عهد الامام علي (ع) الى مالك الأشتر لما ولاه على مصر وأعمالها، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار نهج البلاغة، ط2 1993م، بيروت، لبنان، خطبة 53، ج3، ص604

حقوق الإنسان عند الإمام علي (ع)

عهد الإمام علي (ع) إلى مالك الأشتر:

قبل أن تصدر كل القوانين والتشريعات الدولية لحماية حقوق الإنسان كانت الوثيقة الكبرى للإمام علي (ع) التي وضع فيها الأسس العامة للحكم العادل والتعامل مع الرعية، والأهداف التي يجب تحقيقها من قبل الحاكم الذي يتولّى شؤون إدارة الدول التي تتمثل في جباية الخراج وجهاد العدو لحماية البلاد واستصلاح الناس وعمارَة البلاد⁽¹⁾:

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولّاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارَة بلادها"⁽²⁾.

الأمر المهم لدى الإمام (ع) هو القضاء على الفقر، وذلك محل اهتمام الإسلام لتأسيس المجتمع الصالح "ولعلّ تعارف المسلمين على تسمية بيت المال ببيت مال المسلمين مع أن المال مال الله تعالى، فيه مغزى عظيما في وجوب توفير حاجات المجتمع الإسلامي من المال، كل ذلك يُعنى بالمكانة الهامة للتنمية الاقتصادية في الإسلام، والتي أطلقت عليها الأدبيات القديمة من التراث الإسلامي مصطلح (العمارَة) كما في خطابات ورسائل الولاة والعظماء وأئمة المسلمين، ومن هذه النماذج عهد الإمام علي بن أبي طالب لمالك الأشتر عندما ولّاه حكم مصر، فق جاء فيه: جباية خراجها، وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارَة بلادها"⁽³⁾.

¹ - عهد الامام علي (ع) الى مالك الأشتر لما ولّاه على مصر وأعمالها، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار نهج البلاغة، ط2 1993م، بيروت، لبنان، خطبة 53، ج3، ص604

² - اختيار مصباح السالكين، شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ص 540

³ - استراتيجيات التنمية الاقتصادية في الفكر الاسلامي، الدكتور عباس هاشم شهاب، ص 36

هذه الأمور لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال وجود حاكم يتسم بالتقوى والانتصار لله تعالى والابتعاد عن الشهوات لأنها تجره إلى المعاصي وظلم العباد:

"أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، وإتباع ما أمر به في كتابه، من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا بإتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه ، فإنه جل اسمه، قد تكفل بنصر من نصره ، وإعزاز من أعزه ."

ومن الوصايا التي أوصى بها الإمام علي (ع) لمالك الأشر هو الرحمة للرعية واللفظ بهم، وهنا يتجلى الاحترام الكبير للإنسانية عند الإمام علي (ع) حين يصنف الناس على صنفين يجب احترامهما، أخ في الدين ونظير في الخلق لذلك يجب العفو عنهم لأن الخطأ منهم وارد:

"وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعا ضارياً تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعظهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه".

ويذكر الامام ولاته بأن الخيلاء منقصة أمام ملك الله تعالى فلا يتعالون على الناس:

"وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك".

ومن المضامين الذي احتواها عهد الإمام إلى مالك الأشر:

- 1- إنصاف الناس "أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصّة أهلك".
- 2- الوسطية في الأمور "وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل".
- 3- الابتعاد عمّن يكشف معائب الناس "وليكن أبعد رعيّتك منك، وأشنأهم عندك، أطلبهم لمعائب الناس".
- 4- عدم مشورة البخيل "ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل".
- 5- عدم اتخاذ وزير كان للأشرار سابقاً "إنّ شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً".
- 6- مرافقة أهل الورع "والصق بأهل الورع والصدق".
- 7- التفريق بين المحسن والمسيء "ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء".
- 8- الإحسان للرعية وحسن الظن بهم "واعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيّته من إحسانه إليهم"، "فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيّتك".
- 9- احياء السنن الصالحة "ولا تتفض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة".
- 10- الاهتمام بمرافقة العلماء "وأكثر مدارس العلماء، ومناقشة الحكماء".
- 11- تفصيل طبقات الرعية وأن صلاحها مع بعضها "واعلم أنّ الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلّا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض: فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامّة والخاصّة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمّال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومسلمة الناس، ومنها التجّار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله له سهمه".
- 12- مرافقة ذوي المروءات "ثمّ الصق بذوي المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثمّ أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة، فإنّهم جماع من الكرم، وشعب من العرف".
- 13- تفقّد أمور الرعية "ثمّ تفقّد من أمورهم ما يتفقّد الوالدان من ولدتهما".

المتأمل في هذه المضامين يجدها ترسم إطاراً متكاملًا من الحقوق الإنسانية التي تحفظ للبشر كرامتهم في ظل حكومة العدل الإسلامية المستمدّة مبادئها من قيم العدل الإلهية التي وردت مضامينها في القرآن الكريم واستفاد منها الإمام علي (ع) ليضع التصوّر الكامل للمنهج الذي يجب أن يسير عليه الولاة ويقفدي بهم عامّة الناس حتى يعم الأمن وتنتشر المساواة وتشيع العدالة بين الناس.

لن أطلب النصر بالجور

لم يكن الإمام علي (ع) ليجامل الكبار والمترفين على حساب الفقراء والمعدمين، ولم يكن ليظلم أحداً كائناً من كان ولو بسلبه أبسط حق من حقوقه، كما أنه يرى بأن البشر أحرار لهم كامل الحق في الحياة الكريمة خصوصاً ما يتعلّق بأقواتهم ومساكنهم، فالمجتمع الذي تتعدم فيه العدالة الاجتماعية ويتسلط الأغنياء على الفقراء هو مجتمع فاشل لا يمكن أن ينهض وتنقشَى فيه مظاهر الفساد.

وفي وصيته لولديه الحسن والحسين (ع) بأن يكون طريقهما دائماً مناصرة المظلوم ضد الظالم:
«قولاً الحق، وكوناً للظالم خصماً وللمظلوم عوناً»⁽¹⁾.

يقول جورج جرداق الكاتب المسيحي "علي بن ابي طالب فدٌ من أفذاذ العقل، وهو بذلك قطب الإسلام وموسوعة المعارف العربية".

وعلي (ع) هو أفضى أهل زمانه: "يجمع الصحابة على أن النبي قال مرة "أفضاكم علي" فقد كان علي (ع) أفضى أهل زمانه لأنه كان أعلمهم بالفقه والشريعة وهما في الإسلام مصدر القضاء.. ومن المأثور عن عمر بن الخطاب: لا بارك الله في معضلة لم تحكم فيها يا أبا الحسن⁽²⁾، وقوله: "لو لا علي لهلك عمر"، وقوله أيضاً: لا يفتين أحد في المسجد وعليّ حاضر"⁽³⁾، ونقل بن عباس عن عمر قوله: أفضاني علي وأقرأنا أبي"⁽⁴⁾.

1 - مقطع من وصية الامام علي (ع) لولديه الحسن ولحسين لما ضربه بن ملجم، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ج3، ص 597 الخطبة 47
2 - كتاب جمل من أنساب الأشراف، الامام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي سنة 279هـ، ج2، ص 351 قال: "لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن".

3 - الامام علي صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ج1، ص82

4 - كتاب جمل من أنساب الأشراف، الامام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ج2، ص 350

ولم يكن الإمام علي (ع) ليصغي لأصوات المترفين والطامعين الذين يؤلبونه للاعتماد على الأساليب الجائرة لتحقيق الانتصار على مناوئيه، فهو انتصار وهمي لا يتناسب والخلق الذي تربى عليه الإمام (ع) وهو انتصار يقود إلى الهاوية التي يحاربها ويشدد على الابتعاد عنها:

"أتأمروني أن أطلب النصر بالجور في من وليت عليه، والله ما أطور به ما أمّ نجم في السماء نجما"⁽¹⁾.

لذلك كان يذكر المترفين الذين يجمعون الأموال من الحلال والحرام دائما بأنكم لن تهنئون بهذه الأموال بل ستكون تبعاتها عليكم وخيمة يوم القيامة بينما سيهنأ غيركم بها، أن مصيرها للورثة الذين سيتنعمون بها ولكن هل سيعفي ذلك صاحبها من التبعات أمام الله عز وجل، كلا بل سيحمل كل أوزارها:

" ثم ازداد الموت فيهم ولوجا، فحيل بين أحدهم وبين منطقته، وانه لبين أهله ينظر ببصره، ويسمع بإذنه على صحة من عقله، وبقاء من لبهن يفكر فيم أفنى عمره، وفيم أذهب عمره، ويتذكر أموالا جمعها أغمض في مطالبها وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها وأشرف على فراقها تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها فيكون المهنا لغيره والعبء على ظهره"⁽²⁾.

وحتى لو كانت من الحلال وتم تخزينها دون الإنفاق منها في سبيل الله فان الله تعالى يتوعد خزائنها بقوله:

"وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"⁽³⁾.

وهذا لا يعني أن الإمام علي (ع) يدعو إلى التضيق على النفس سواء للحاكم والمحكوم، بل يدعو للأخذ بأسباب العدالة، وأن يكون المعيار هو الموازنة بين أن تعيش للدنيا والآخرة لكي لا تتعدى على حقوق الآخرين، كما يقول تعالى:

1 - نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة 126، ص 297

2 - اختيار مصباح السالكين، شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ص 259

3 - التوبة 34

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (1).

لم يكن الإمام علي (ع) ليتساهل في الشؤون المالية خصوصا اذا كان اكتسابها من قبل الأشخاص بغير الطرق السليمة، فقد استلم الحكم وهناك ارث ثقيل من العهد السابق، حيث تم توزيع الضياع والأراضي والأموال على الكثير من المنتفذين وأصحاب الشأن والمقربين، وظنوا أنهم سيحتفظون بها وأصبحت ملكا لهم لا يحق لأحد استرجاعها، خصوصا وأن بعض هذه الأموال قد يكون تزوجت بها النساء أو ملكت به الإمام، او صرف في موارد لا يمكن استرجاعه منها، فهل يقف الإمام علي (ع) من هذا المال موقف اللامبالي، ويذره يذهب في المورد التي صرف فيها..

كلا فلم يكن الإمام ليدع مالا أخذ من بيت المال وصرف في غير موقعه، والقضايا لا تسقط بالتقادم لديه.. لذلك خطب خطبة أوضح فيها منهجه مع هذا المال، وأنه بصفته شخص من هذه الأمة لا يجوز له السكوت عن الأموال التي أقطعت في غير موقعها حتى ولو أصبح أكبر مسئول في الدولة الإسلامية لذلك بدأ خطبته بقوله:

" إنما أنا رجل منكم، لي ما لكم وعليّ ما عليكم " وختمها بقوله "، حيث يقول:

"أيها الناس، إنما أنا رجل منكم، لي ما لكم وعليّ ما عليكم، ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء وملك الإمام وفرق في البلدان لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق" (2).

1 - الفصص 77

2 - ذكر جزء منها ابن أبي الحديد في شرح الشيخ محمد عبده لنهج البلاغة، الخطبة 15، ج1، ص 102

أيها الناس، ألا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيل واتخذوا الوصائف المرفقة، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون: حرمانا ابن أبي طالب حقوقنا! ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أن الفضل له على سواه بصحبته، فإن الفضل غدا عند الله. فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية ولا فضل فيه لأحد على أحد!

منذ الفجر الأول للإسلام كانت هناك قوتان تتنازعان الإنسان، إنهما النفس الأمارة بالسوء التي تدفع الإنسان إلى حب الدنيا والاستئثار بالمال والجاه وفي مقابل ذلك النفس المطمئنة التي تدفع صاحبها للإيمان والعمل الصالح ومراعاة حقوق الناس، ولم يكن اصحاب الجاه والمال والمهوفين وراء مغريات الدنيا سواء جاءتهم من الحلال أم من الحرام، لم يكونوا على جهل بواقعهم بل هم أكثر الناس إدراكا لما يقومون به من خطأ ومن مخالفة لتعاليم القرآن الكريم، لكنه الميل نحو الدنيا وزخرفها، وقد شخّص الإمام علي (ع) حالهم بقوله:

"وقد عرفوا العدل ورأوه، وسمعوا الحق ورعوه، وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة فهِرَبُوا إلى الأثرة، فَبَعْدًا لهم وَسُحْقًا".

المسئولية التي يتحمّلها الإمام أو القائد للأمة تجعله قدوة للناس في مأكله ومسكنه وتحركاته، وهو الذي من خلال تصرفاته يقود سفينة الأمة فيما يتّجه بها نحو النجاة أو الغرق، نعم فالكثير من الحكّام الذين استأثروا بأموال الأمة وصرفوها على ملذّاتهم وشهواتهم دونما اعتبار لمعاناة الفقراء، تسبّبوا في خلق الهوة بين طبقات المجتمع، وانتشرت مظاهر الفقر في ظلهم، لذلك كان الإمام علي (ع) يتحسّس آلام الفقراء قبل أن تقع، ويواسيهم بحرمان نفسه من لذيذ الطعام والاقتصاد في الملبس، بل يأكل ويلبس كما يأكل ويلبس أضعف الناس، ليكون للفقراء قدوة ويمنع طغيان الأغنياء:

"إن الله جعلني إماما لخلقه، ففرض عليّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يطغي الغني غناه"

وهذا التقدير في النفس بالضعفاء، لم يكن حصرا على الإمام بصفته بل هو فرضٌ الهيّ لكل من يتولّى إمامة الأمة ومن يشذ عن ذلك فقد خالف الأوامر الإلهية وخرج عن إمامة الحق:

"إن الله تعالى فرض على أئمة الحق أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس، كي لا يتبغ بالفقير فقره"

دنيا علي (ع) ودنيا غيره:

الدنيا عند غير الإمام من الأمراء هي تلك التي ينال فيها الجاه والسلطان والتحكم في رقاب العباد والاستئثار بالمال والثروة ويمثل كل ذلك الملك الذي تظهر فيه الشخصية، بينما هي عند علي (ع) أن لا يملك المال والجاه والسلطان وأن لا تستهويك الفخامة وبريق الذهب والفضة.

هي عند غيره الذهب الذي يكسر بالفئوس والقصور المزيّنة باللالئ والأباريق المرصّعة بالذهب والفضة والضياع التي يستأثر بها عن الآخرين بينما لا يجد الفقير قوت يومه، والثروات التي توزع على الأقارب وذوي الجاه وهي ملك عقيم تسفك الدماء من أجلها ويشرد الناس من بيوتهم، بينما هي عند علي (ع) العدالة بين الناس وهي لا تساوي جناح بعوضة، حيث يقول والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته، وان دنياكم عندي لأهون من من ورقة في فم جرادة تقضمها.

نقل الخوارزمي: "سمعت عمار بن ياسر قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: يا علي أن الله تعالى زينك بزينة لم يزين العباد بزينة هي أحب إليه منها، زهدك فيها وبغضها إليك، وحبب إليك الفقراء فرضيت بهم أتباعاً ورضوا بك إماماً، يا علي طوبى لمن أحبك وصدق عليك، والويل لمن أبغضك وكذب عليك، أما من أحبك وصدق عليك، فأخوانك في دينك، وشركاؤك في جنتك، وأما من أبغضك وكذب عليك، فحقيق على الله تعالى يوم القيامة أن يقيمه مقام الكاذبين"⁽¹⁾.

ومن غريب اهتمامات الإمام علي (ع) أنه كان دائم التركيز على طبقة الفقراء الذين يعبر عنهم بضعاف الناس، لأنهم أصحاب معاناة وعندما يرون النعمة على غيرهم قد يتأثرون نفسياً ويشعرون بالحرمان، فما

¹ - كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة المحقق أبي الحسن الأربلي، ج1، ص 146

أحوجهم لمن يرسم لهم الطريق كي لا تزلّ أقدامهم عن الطريق القويم وتدخل الشكوك الى نفوسهم وينقمون على حالهم فيكفرون بالله تعالى، ولكي لا يشعرون بالتميز بينهم وبين الطبقات العليا في المجتمع، فان أئمة الحق هم المعني الأول بمواساتهم:

"ولكن هيهات أن يغلبنني هواي ويقودني جسعي إلى تخيير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثي، وأكباداً حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكبادٌ تحنّ الى القدّ

أفنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش"⁽¹⁾.

أنها الأريحية التي يمتلكها الإمام علي (ع)، فهو لا يعتبر الأموال التي يكون مسئولا عنها ملكه، بل هي أموال استودعه الله عليها لذلك يطلق عليها مسمى "مال الله" ولا يحق له من هذا المال الا ما يكفي لسد رمقه وأهله:

"لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان : قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يطعمها"⁽²⁾.

بلغ الإمام علي (ع) أن عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها، فكتب له:

"أمّا بعد يا ابن حنيف: فقد بلغني أنّ رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنتقل إليك الجفان" ثم يواصل الإمام كلامه بأنه لم يكن يتوقع استجابته لمثل هذه الدعوة.

¹ - شرح نهج البلاغة الوسيط كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ص530
² - القصعة هي وعاء يؤكل فيه ويثرّد، وكان يُتخذ من الخشب غالبا، وجاء في تاج العروس القَصْعَةُ : الصَّحْفَةُ أو الصَّخْمَةُ مِنْهَا تُشْبَعُ العَشْرَةُ.

" وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ، وغنيهم مدعوّ فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه"⁽¹⁾.

إنها قمة التطبيق العملي لمن يستخدمه الإمام من مسئولين لإدارة شؤون الناس، إذ يجب على الولاة والعمال أن يتحسسوا آلام الناس وألا يسارعوا لموائد الأغنياء تستطاب لهم ألوانها أي يقدم لهم طيبها من أصناف الطعام، وتتقل لهم الصحون التي يوضع بها الطعام.

كيف للوالي أن يستجيب لمثل هذا الموائد في الوقت الذي يطرد عنها الفقير فعائلهم مجفوّ أي أنّ فقيرهم مطرود بينما الغنيّ مقرب ومدعو، والوالي يقضم الطعام أي يأكله دونما مبالاة من أي طريق أتى، تلك هي وصايا الإمام علي لولاته ومحاسبته لهم ليكونوا قدوة للناس ومواسين لضعافهم.

ولم يكن الإمام ليدعوا الولاة لمواساة الفقراء وينسى نفسه بل يكون هو القدوة الأكبر حيث يقول: "إلا وان إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه" كلمات رائعة توضّح كيف أن أمير المؤمنين الإمام علي (ع) يطبّق المبادئ التي ينادي بها على نفسه قبل غيره، فهذه الدنيا بزخارفها وزينتها وكل ما تحويه لم تمثّل للإمام علي (ع) سوى دار ممر، وهو بالتالي يكتفي بالقليل منها، فثيابه هي الثياب الخلقية وطعامه هو الطعام الخشن، وان لم يكن الناس قادرين على حياة التقشف والزهد التي يعيشها فانهم مدعوون لأن يعينوه بالورع والاجتهاد والعفة والسداد:

"ألا وان لكل مأموم إماما يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وان إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، ألا وانكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة و سداد فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً ولا حزت من أرضها شبراً، ولا

¹ - اختيار مصباح السالكين، شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ص 530

أخذت منه إلا كقوت أتان دبيرة، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقرة بلى؟ كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلمته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين. ونعم الحكم الله وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدت؟ تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها لأضغطها الحجر والمدر، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق، ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل و لباب هذا القمح، ونسائج هذا القز⁽¹⁾.

تلك هي الدنيا عند الإمام علي (ع)، وذلك هو حظها منها، ولعل سائل يتساءل، ألم يأمرنا القرآن بأن نأخذ زينتنا عند كل مسجد ويقول لنا "ولا تنس نصيبك من الدنيا" فما بال علي (ع) وقد اعرض عن الدنيا بكل ملذاتها ولم يلبس من الثياب إلا الخشن ولم يأكل من الطعام إلا اليابس.. ما لنا نرى علي (ع) وهو الخليفة على المسلمين يقول أنه قد اكتفى من دنيانا بطمريه ومن طعامه بقرصيه؟

وللإجابة على هذا السؤال يجب أن نعرف بأن المسؤولية التي تحملها الإمام لم تكن مسئولية سهلة، فهو الإمام والخليفة والقائد وكان يدرك بأنه يمثل قدوة لزمانه وللأزمنة اللاحقة، سواء لمن يتولى شئون الأمة أو للولاة أو للرعية.

كان الإمام علي (ع) يدرك ما للإنسانية من حقوق لا يمكن أن تحفظ وتسان إلا من خلال رعاة وقادة لا يتصفون بالكفاءة فحسب بل بالورع والتقوى والقدرة في أن.

¹ - اختيار مصباح السالكين، شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ص 530

وهو يعلم بأن الحق ثقيل على أصحاب النفوذ وعلى الولاة "والحق ثقيل على الولاة.. وكل حق ثقيل" ولكنه لا تأخذه في الله لومة لائم.

لذلك كان أول همّه هو التأطير النظري المنطلق من الرؤية القرآنية للحق الإنساني في العيش الكريم، ومن ثم خلق القدوة لهذا التأطير، وبعد ذلك المتابعة والمحاسبة لكل الولاة الذي يعينهم حتى يضمن شمول العدالة لكل الناس.

ولأنّه قد تربي على الخلق النبوي من خلال ملازمته الدائمة لرسول الله (ص) كان لا بد أن يكون همّه الأوّل هو إبلاغ الرسالة التي جاء بها الرسول (ص) وهو يعلم بأن أخطر موقع يغري الإنسان للترف هو موقع الخلافة والولاية والقيادة، لذلك حذر الولاة وأمرهم بأن يساوا أنفسهم مع أضعف الناس، لإدراكه بأن المطامع الدنيوية ستغري الكثير منهم سواء في زمانه أو بعد زمانه، وأن هناك هوة ستخلق بين الفقراء والأغنياء، بل سيلجأ الأغنياء والولاة لإقناع الفقراء بالرضا بما هم عليه من فقر فذلك تقدير من الله لهم ولا يطالبوا الأغنياء بحقوقهم المهدورة التي استولى عليها أولئك لأن الغنى من الله يعطيه من يشاء والملك لله يهبه لمن يشاء.

كان الإمام علي (ع) يدرك بأن الولاة سيستغلون الناس باسم الدين ويقنعونهم للرضا بواقعهم باسم الدين، وسيجلبون لهم من يقنعهم من رواة الحديث ومن العلماء المنتفعين بأن الاعتراض على الوالي يعتبر مخالفة للشرع، وأن المطالبة بالحقوق هو اعتناق غير شرعي من الحالة التي أراد الله للناس أن يكونوا عليها، فعليكم أيها البشر أن تطيعوا الوالي " تَسْمَعُ وَتَطِيعُ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ"⁽¹⁾.

¹ - صحيح مسلم، الامام مسلم بن الحجاج، تحقيق نظر بن محمد الفارياي أبو قتيبة، ط1، سنة 1427هـ، 2006م، دار طيبة، ج2، ص 897، كتاب الامارة.

فكان لزاما على علي (ع) أن يضع الإطار النظري الديني الصحيح الذي استقاه من رسول الله (ص) ومن القرآن الكريم الذي يدعوا للعدل والمساواة بين الناس وإعطاء كل ذي حق حقه وعدم سلب الناس حقوقهم وتحريم تخزين الأموال دون صرفها في سبيل الله (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسِكُمْ فَدُوفُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) (1).

ومن هنا اعتبر الكاتب المسيحي جورج جرداق بأن زهد العظماء والأنبياء لأنهم "ثائرون" وأهداف ثوراتهم مستمدة من مجتمعاتهم، وأساليبهم في الكفاح مقيّدة بزمانهم ومكانهم وظروف الناس من حولهم وفي العالم (2).

يقول الكاتب جورج جرداق:

"فهذه الأقوال اليسيرة لأصحاب الرسالات في الزهد والقناعة ليست إذا إلا معالجة استثنائية لحالة مؤقتة لا مرتبطة بأشخاص معينين في زمان ومكان معينين، فهي أسلوب في التدبير المؤقت وليست دعوة دائمة الى طلب الفقر والعزوف عن الدنيا. وليست تزيينا للحاجة هنا وتوفيرا للتخمة هناك" (3).

وبهذا الصدد يشير جورج جرداق إلى أن أصحاب الرسالات ليس من أهدافهم وغاياتهم أن يكون النقشف هو قاعدة يسير عليها الناس:

"إن أصحاب الرسالات لم يجعلوا من نقشفهم قاعدة يسير عليها الناس. ولا من اقتناعهم بأيسر ما يمكن من أدوات العيش وآلاته نهجاً ينهجه الآخرون، وستة! ولو كان الأمر كذلك، وهو ليس كذلك، لَمَا كان لثوراتهم غاية ولَمَا عاداهم أصحاب الوجاهات الموروثة وذوو المال المكنوز والحكم الجائر والفساد العريض" (1).

1 - التوبة 34-34

2 - الإمام علي صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق ج 1 ص 95

3 - المصدر نفسه، ج 1 ص 96

كل الثورات هدفها الأساس الارتقاء بمستوى الإنسان، وإخراجه من حالة الفقر إلى العيش الكريم، وقضية العيش الكريم لا تتناغم بشكل دائم مع حالة التقشف، بل هي مرحلة للعبور لرخاء المجتمعات وسعادتهم، وبالتالي لا يجوز أن يتخمد بشر محدودون في الوقت الذي يعيش فيه غالبية الناس المعاناة ويدعون إلى التقشف والقناعة، فكل هذه التضحيات لمحاربة البطر والاحتكار والاستئثار هو من أجل خلق السعادة لجميع البشر:

'فليس معقولاً ولا مقبولاً أن يثور بوذا أو المسيح أو محمد على مجتمع فيه الآكل والمأكل، والظالم والمظلوم، والجائع والمُتخَم، فينسف بنيانه ويدكِّ دعائمه، واضعاً حياته وحياته أنصاره في كفة النصر أو الموت، ثم يعود ويدعو الناس إلى الأخذ بما كان من التفاوت والتمايز بين طبقات الناس، ويزين للمتخمين التخمّة وللفقراء الفقر ولكل إنسان ما كان فيه من أحوال البؤس والنعيم»⁽²⁾.

وإذا كان الهدف من الرسالات هو إيجاد السعادة للإنسان، وإخراجه من حالة الفقر والاستعباد إلى حالة الرخاء والكرامة وعدم استغلاله من قبل المستأثرين والمتنفذين، فلماذا نرى الرسل والعظماء يعيشون حالة التقشف، ويحرمون أنفسهم من المتع التي هي مباحة لكل الناس، هل هناك من مسوغ لأن يعيش ذلك الرسول أو ذلك العظيم حياة الزهد والتقشف لدرجة يراها البعض بأنها حالة البؤس والشقاء.. نعتقد بأن الإمام علي (ع) قد أوضح لنا تلك الأسباب من خلال كلامه ولكن ومن خلال الخلاصة التي استخلصها الكاتب جورج جرداق من حياة هؤلاء العظماء وفي مقدمهم النبي محمد (ص) والإمام علي (ع)، حيث يستخلص بعد التطرق إلى حياة العظماء أن حياة بوذا العظيمة والتي كانت تتصف بالقناعة والزهد، وحياته كونفوشيوس حاكم الصين التي اتصفت بالزهد أيضاً، وحياته سقراط الذي لم يكن يبدل عباءته في الشتاء ولا في الصيف، ولا يمنع قسوة التراب والحجارة من أن تنال قدميه الحافيتين، وكذلك حياة المسيح «كان كما يصفه الإمام علي صادقاً، يتوسد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الخشب، وكان إدامه الجوع وسراجه بالليل القمر، وظلاله

¹ - المصدر نفسه، ج 1 ص 96

² - الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، ج 1 ص 96

في الشتاء مشارق الأرض ومغاريها، وفاكهته وريحانه ما تُثبت الأرض للبهائم. ولم تكن له زوجة تفتته ولا ولدٌ يُحزنه ولا مالٌ يلفته، ولا طمعٌ يُذله، دابته رجلاه وخادمه يداه!».

ولقد كان وصف الكاتب جورج جرداق لحياة النبي محمد (ص) دقيقاً، حيث كان لا يأكل إلا الخشن من المأكّل، وفي حالة الأكل فانه لا يشبع بل يترك مجالاً لمعدته، بل لم يملأ بطنه من ادامين «قد قُبضت عنه أطراف الدنيا ووطئت لغيره أكنافها، وقُطم عن رضاعها، ورُوي عن زخارفها». وأنه كان زاهداً متقشفاً لا يأكل إلاّ خشنَ المأكّل وإذا أكل لا يشبع، وأنه خرج من الدنيا . كما يقول أبو ذرّ الغفاري، ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين، وأنه كان إذا شبع من التمر لا يشبع من الخبز، وقد يمرّ به هلالٌ ثم هلالٌ لا يوقد في بيته نارٌ لخبز ولا لطبخ!

وكذلك كان الإمام علي (ع) حيث وصف نفسه في إحدى خطبه كان «مكتفياً من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه» ومن المسكن بما هو من خصائص الفقراء دون القصور. وأن أخباره في القناعة والزهد أكثر من أن تُحصى وأشهر من أن يقام عليها دليل، ويكفي منها ما أثبتناه في بعض فصول هذا الكتاب.

ومن كان حاله كذلك فان حال من يتبعه ويقتدي به لا غرو سيكون مثل حاله:

"وكان أن صاحبه أبا ذرّ الغفاري كان قانعاً بأرغفة يابسة من خبز الشعير يأكلها وزوجه وبنيه، مكتفياً بها رأياً عن حاله هذا كل الرضا مطمئناً إليه كل الاطمئنان!".

فهل هناك أكثر زهداً من هذا الإمام الذي كانت الدنيا بين يديه ولكنه لم يكن يلبس إلا الخشن المرقع:

"في أحد الأيام لم يجد علي (ع) ما يلبسه سوى لباسا من الصوف به خروق، فرقعه ولبسه وخرج إلى الناس، فلما لامه بعض الأنصار والمهاجرين أجابهم: "ان لبس هذه المرقعة من الصوف تقمع في الإنسان ما قد يشعر به من كبر، وتقهره على أن يتواضع لله، وتحمله على الخشوع حملاً"⁽¹⁾.

نعم.. فإذا كان الحاكم هو الذي يلبس ما يلبسه أضعف الناس ويأكل مثل ما يأكل أفقر الناس، فان مثل هذا الحاكم لا غرو سيشعر بآلام الفقراء والمعوزين وسيخلو قلبه من الكبر والخيلاء.

لذلك كان الإمام علي (ع) يردد قائلاً:

"أما والله لقد رقت مدرعتي حتى استحييت من راقعها حتى قال لي قائل الا تنبذها عنك؟ فقلت اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى، ما لعلي ونعمة لا تبقى ولذة تفتنى"⁽²⁾.

من خلال استعراض الكاتب جورج جرداق لحياة أولئك الزاهدين يصل الى نتيجة وهو أن هؤلاء أصحاب رسالات لهم في هذه الرسالات نفسها مادة الاكتفاء والشبع والحياة.

ولم يكن الإمام علي (ع) ليفضل أحدا على أحد فالناس عنده سواء، فقد نقل عن الحارث أنه قال: كنت عند علي فجاءته امرأتان، قالتا، يا أمير المؤمنين إننا امرأتان فقيرتان مسكينتان، فقال: قد وجب حقا علينا وعلى كل ذي سعة من المسلمين إن كنتما صادقتين، ثم أمر رجلا قائلاً: انطلق بهما إلى سوقنا، فاشتر لكل واحدة منهما كزّا من طعام، وثلاثة أثواب، وأعط كل واحدة منهما من عطائي مائة درهم، فلما ولّتا سفرت أحدهما وقالت: يا أمير المؤمنين فضلني بما فضلك الله به وشرّفك، قال:

1 - علي امام المتقين، عبد الرحمن الشرقاوي، ج1، ص 56
2 - نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة، بيروت، ص 350، الخطبة 160

وبماذا فضّلني الله وشرفني؟

قال: صدقت، وما أنت؟

قالت: أنا امرأة من العرب وهذه من الموالي.

قال: فتناول شيئاً من الأرض ثم قال: قد قرأت ما بين اللوحين فما رأيت لولد إسماعيل على ولد إسحاق عليهما السلام فضلاً ولا جناح بعوضة⁽¹⁾.

¹ - أنساب الأشراف، البلاذري، ج2، ص 376-377

الإمام علي (ع) ومحاسناته الولاية:

من أهم الأمور التي يتابعها الإمام علي (ع) هو متابعة الولاية أولاً بأول ومحاسناتهم على أفعالهم حتى لا يتمادون في الخطأ ويتعودون عليه، فما إن يتناهى إلى سمعه إقدام أحد ولاته على خطأ سواء بالذهاب إلى موائد الأغنياء التي يغيب عنها الفقراء، أو الاستيلاء على أموال أو أراضي لا تدخل في ملكيتهم فانه يكتب إليهم محذراً وقد يعزلهم في حال كانت هناك خطيئة كبرى أو مخالفة صريحة، لذلك كتب إلى أحد عمّاله كتاباً يحذّره فيه من غضب الله قبل غضب الناس بسبب الاستحواذ على أراض:

"أما بعد فقد بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك وعصيت إمامك وأخزيت أمانتك، بلغني أنك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك وأكلت ما تحت يديك، فارفع إليّ حسابك، واعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب الناس والسلام"⁽¹⁾.

ويبدو أن ابن عمّ له كان أحد ولاته فخان الأمانة وخذل الإمام حين شعر بأنّ يد الإمام لا تطاله بسبب الظروف التي يمرّ بها، ولعلّ ذلك أثناء انشغال الإمام بالحرب حيث يقول له:

"قلماً رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، والعدوّ قد حرب، وأمانة الناس قد خزيت، وهذه الأمة قد فتكت وشغرت، قلبت لابن عمك ظهر المجن، ففارقته مع المفارقين، وخذلته مع الخاذلين وخنثته مع الخائنين"⁽²⁾.

ولم تكن جريمته بالأمر الهين بل لقد اندفع في استغلال أموال الفقراء والمساكين واستأثر بكل ما تحت يديه يتلاعب بها ويتزوّج ما يشاء، ويأكل الحرام ويهو يعلم بذلك، لذلك حاول الإمام علي (ع) تذكيره بأفعاله الشنيعة المخالفة للشريعة الإسلامية التي تحرّم استغلال أموال الفقراء:

1 - اختيار مصباح السالكين، شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ص 525

2 - المصدر نفسه، ص 525-526.

"كيف تسبغ شرابا وطعاما وأنت تعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً وتبتاع الإمام وتكح النساء من أموال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد"⁽¹⁾.

وبدلنا على أن السرقة التي قام بها هذا الرجل عظيمة أنّ تحذير الإمام عليه السلام له كان شديدا لدرجة أنه كان يحذره بأنه إن تمكّن منه واستطاع الوصول إليه، سيضربه بالسيف وهذا يعني أنّه كان يستحق القتل على ما فعل، والإمام بقدر ما يهتم بأن تكون العقوبة على قدر الجرم فإنه لا يتساهل مع الولاة في الخيانة، ما يعني بأن الجريمة التي ارتكبها ابن عمّه كانت فادحة:

"قَاتَقِ اللّٰهَ واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم فانك إن لم تفعل ثمّ أمكنني الله منك لأعذرنّ الى الله فيك ولأضربنّك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار"

وتتجلّى لنا عدالة الإمام (ع) في أنّه لا يستثني أحدا من القصاص، مهما بلغت منزلته ومهما بلغ قربه من الامام فليس هناك أعزّ وأحب وأقرب إلى الإمام من الحسن والحسين وهما ولداه ولهما من الشأن ما لهما، وكانا أحب الناس إلى رسول الله (ص)، حتى قال فيهما "الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة" وقال هما ريحانتاي" ومع ذلك ومع حبّ الإمام الشديد إليهما، فقد قال في كتابه:

" وواللّٰه لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هواده ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحقّ منهما وأزيح الباطل عن مظلّمتهم"⁽²⁾.

1 - من الخطبة نفسها.

2 - اختيار مصباح السالكين، شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ص525-526.

وبلغه أنّ مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على أردشيرخزة قد استغلّ الأموال التي غنمها المسلمون حيث قام بتوزيعها على أقاربه دون سواهم فأرسل إليه كتابا يتوعده ان كان ما بلغه عنه صحيحا، فلا هوادة ولا محاباة ولا مجاملة عند علي (ع):

"بلغني عنك أمر إن كنت قد فعلته فقد أسخطت إلهك وعصيت إمامك أتك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقت عليه دماؤهم فيمن اعتمك من أعراب قومك فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك عليّ هواناً ولتخفن عني ميزاناً فلا تستهنن بحق ربك ولا تُصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين أعمالا ألا وإن حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفياء سواء يردون عني عليه ويصدرون عنه"⁽¹⁾.

وكتب إلى الأشعث بن قيس وهو بأذربيجان، وكان عثمان ولّاه إياها، فأقره عليها يسيراً ثم عزله:

"إنما غرك من نفسك إملاء الله لك، فما زلت تأكل رزقه، وتستمتع بنعمته، وتذهب طيباتك في أيام حياتك، فأقبل واحمل ما قبلك من الفياء ولا تجعل على نفسك سبيلاً"⁽²⁾.

وبما أن معاوية بن أبي سفيان في حالة عداة دائم مع الإمام علي (ع) ومع خطّ علي ومع عدالة علي، فانه يحاول استمالة الولاة الذين يستخدمهم الإمام علي بالأموال والمناصب، لأنه يدرك بأن زعزة الجبهة الداخلية من خلال استغلال الولاة هو الأكثر تأثيرا على خط العدالة، فالنفس البشرية إذا لم يحاول صاحبها كبح جماحها بالدين والتقوى وحسن الخلق فإنها سريعة الانزلاق، حيث يقول تعالى في من يسعى للشهوات الدنيوية:

1 - اختيار مصباح السالكين، شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ص 528

2 - أنساب الأشراف، الامام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ج 2 ص 388

(زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) (1).

لذلك استغل معاوية حالة الضعف أمام هذه المغريات عند بعض الولاة ومنهم زياد بن أبيه فقام بمراسلته سرًا، وعرض عليه المغريات من المناصب والأموال لكي يستميله إلى جانبه خصوصا وأن زياد من أهل الكوفة، ويعرف أهل الكوفة جيدا، ويمثل وقوفه إلى جانب معاوية مكسبا كبيرا، فعرف الإمام علي (ع) بتلك المراسلات وسارع إلى تحذير زياد ابن أبيه من الانزلاق في منزلق معاوية:

"قد عرفت أن معاوية قد كتب إليك يستنزل لبك ويستقلّ غريك فاحذره فإنما هو الشيطان يأتي المرء بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويستلب غرته" (2).

1 - آل عمران 14

2 - اختيار مصباح السالكين، شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ص528

اهتمام الامام علي (ع) بالعامل وأجر العامل

الوضع الاجتماعي والاقتصادي يترتب على كيفية إدارة الموارد في البلاد، فإذا كان هناك اهتمام بأن يحصل العامل على حقه في عمل كريم وأجر مجزٍ بدلا من ذهاب الأموال لمن يتفرجون فان المجتمع سيكون مفعما بالحيوية، وسيكون الإنتاج والإبداع هما الأساس الذي تبنى عليهما المجتمعات.

لذلك أشار الإمام علي (ع) كثيرا إلى ضرورة الاهتمام بالعامل، وعدم خلق الطبقة في المجتمع التي تخلق هوة واسعة بين الفقراء والأغنياء فقال:

"ان الله سبحانه جعل في أموال الأغنياء أقوات الفقراء فما جاع فقير الا بما متّع به غني"⁽¹⁾.

لذلك قال لأحد عماله:

"بلغني أنك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك فارفع إليّ حسابك"⁽²⁾.

نعم على الوالي أن يرفع حسابه بصورة سريعة للإمام حتى يعرف مقدار ما وصله من الاستيلاء على الأموال التي كانت تحت يديه.

وتتجلى اهتمامات الإمام علي (ع) بالعمال وأجورهم من خلال خطبة إلى عامله قرظة بن كعب، فقد جاءه أهالي الإقليم الذي جعل قرظة واليا عليهم وأخبروه بوجود نهر قد طمرته الأيام، وطلبوا منه أن يأمر واليه بإعادة حفره من خلال تسخيرهم للعمل فيه، لكن الإمام علي (ع) لم يكن يقبل بالسخرة التي تعتبر مثل العبودية لذلك كتب كتابا إلى واليه جاء فيه:

¹ - شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم ابن علي بن ميثم البحراني، باب المختار من حكم أمير المؤمنين، ص 654

² - المصدر نفسه، ص 525

"أما بعد: فإن قوماً من أهل عمك أتوني فذكروا أن لهم نهراً قد عفا ودرس، وإنهم إن حفروه عمرت بلادهم وقووا على كل خراجهم، وزاد فيء المسلمين قبلهم. وسألوني الكتاب إليك لتأخذهم بعمله وتجمعهم لحفره والإنفاق عليه. ولست أرى أن اجبر أحداً على عمل يكرهه.. فادعهم إليك فإن كان الأمر في النهر على ما وصفوا، فمن أحب أن يعمل فمره بالعمل. والنهر لمن عمل دون من كرهه ولئن يعمروا ويقووا أحب إليّ من أن يضعفوا. والسلام"⁽¹⁾.

ومن خلال الكتاب يتضح لنا أن الإمام علي (ع) يبحث على عمارة البلاد، ويشجع الناس على العمل من أجل تقوية الخراج ولكنه لا يجبر أحداً على القيام بعمل ليس من اختصاصه بالأساس، لذلك أوصى عامله بأمرين هامّين، هما:

أولاً: عدم إجبار أو أكراه أحد على العمل في ما لا يرتضيه.

ثانياً: الاختيار للعامل بأن يقوم بالعمل بنفسه، وله أجر ما عمل وليس للآخرين الحق في مشاركته الأجر.

¹ - كتاب جمل من أنساب الأشراف، الإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي سنة 279هـ، ج2، ص 390

الإمام علي (ع) وتحريم الاحتكار

كان من وصاياه (ع) لمالك الأشر، وهي عامة لجميع الولاة بأن يتفقد أمور الرعيّة بنفسه لكي يمنع الاحتكار، وأن يكون البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين، البائع والمشتري، ومن لم يستجب للوالي بعد نهيه عن الاحتكار فعلى الوالي أن ينكّل به، ومن اهتمامات الإمام بالطبقة الفقيرة كان يوصي مالك الأشر بقوله:

"ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم منن المساكين والمحتاجين وأهل البؤس"⁽¹⁾.

لذلك قال يوصي مالكا في النهي عن الاحتكار:

"واعلم أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار"⁽²⁾.

"فمن قارف حكراً بعد نهيك إياه فنكّل به وعاقبه في غير إسراف"⁽³⁾.

والاحتكار يعني حبس المنافع عن الناس عند الحاجة إليها، وورد النهي الشرعي عن ذلك في الأجناس التي يعمّ نفعها ويكثر الحاجة إليها، وهي الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والملح، والتحكّم في البياعات أي يبيع على حكمه بمجرد الهوى من غير رجوع الى شريعة أو عرف⁽⁴⁾.

¹ - من عهد الامام علي (ع) لمالك الأشر، شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ص548

² - المصدر نفسه، ص547

³ - الامام علي صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ص 152

⁴ - من عهد الامام علي (ع) لمالك الأشر، شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ص550

اهتمام الإمام علي (ع) بالفقراء

ليس هناك فئة حصلت عند الإمام علي (ع) اهتماما بالغا أكثر من الفقراء فهم الطبقة الضعيفة التي يمكن أن يستغلها الأغنياء في تنفيذ مآربهم ويعاملونها بالتقتير والحرمان، وكلما تفشى الفقر في المجتمع كلما جرّ الإنسان لارتكاب الجرائم للحصول على لقمة عيشه، يقول الإمام علي (ع) في كتاب إلى عثمان بن حنيف الأتصاري ليعلمّ الولاة بأن يواسوا أنفسهم بالفقراء:

"ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه⁽¹⁾ ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد، فوا الله ما كنزت من دنياكم تيرا ولا أدخرت من غنائمها وفرا، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا، ولا حُزت من أرضها شبرا"⁽²⁾.

هذا هو الإمام الذي كانت الأموال تجبى إليه من كلّ مكان، وكان بإمكانه العيش الرغيد، ولكنه أثر الا أن يساوي نفسه بالفقراء ويعيش آلامهم، ويتحسّس حاجاتهم، حيث يقول:

"ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جسعي إلى تخيير الأطمعة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبّع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي، وأكباد حرّي"⁽³⁾.

إنها حياة الأنبياء الذين يضحون بكل ما لديهم من راحة من أجل راحة الآخرين، ويعيشون حياة الزهد والتقشف لأن جسوية العيش التي يعيشها الفقراء لا يشعر بها أحدٌ غيرهم، لذلك كان لزاما على ولاة الأمر أن يضعون آلام الفقراء نصب أعينهم:

1 - طمريه: الثوب البالي، والوفر المال.

2 - شرح نهج البلاغة الوسيط، ميثم بن علي بن ميثم البحراني، من كتاب الامام (ع) الى عثمان بن حنيف، ص 530

3 - المصدر نفسه ص530

"أفنع من نفسي أن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوية العيش، فما خلقت ليشغلي أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسله شغلها تقمها"⁽¹⁾.

لذلك كان الإمام (ع) يتصدق وهو يصلي لئلا يخرج الفقير من المسجد دون أن يجد من يساعده:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)⁽²⁾.

وكان يتصدق وهو صائم فيحرم نفسه من الطعام مع حاجته إليه:

(وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)⁽³⁾.

وكان يهتم بإخراج الزكاة للفقراء ويرى بأن فيها الكفاية لسد حاجتهم لو أخرجها الأغنياء حيث يقول:

"لو علم الله أن زكاة الأغنياء لا تكفي الفقراء، لأخرج لهم من غير زكاتهم ما يقويهم، فإذا جاع الفقراء فبظلم الأغنياء لهم"⁽⁴⁾.

وكما أورد الباحث الدكتور عباس هاشم بأن المسألة أن الإمام علي (ع) يرجع أسباب فقر الفقراء إلى عدم دفع الأغنياء حقوق أموالهم، وأن ما فرضه الله تعالى في أموالهم من حقوق تكفي لو قاموا بإخراجها⁽⁵⁾.

1 - نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق الشيخ فارس الحسنون، مركز الأبحاث العقائدية، قم، إيران، مطبعة ستارة، ط1، 1419هـ، ص554

2 - المائدة 55

3 - الحشر 9

4 - كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال، العلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي المتوفي سنة 975هـ، مؤسسة الرسالة، ط5، 1405هـ،

1985م، بيروت، لبنان، ج6، ص310، حديث رقم 15824

5 - استراتيجيات التنمية الاقتصادية في الفكر الإسلامي، دكتور عيس هاشم، دار الولا، بيروت لبنان، ط1، 1433هـ، 2012م، ص173

الإمام علي (ع) يحارب الطبقة والاستنثار

"عباد الله إنكم وما تأملون من هذه الدنيا، أثوباء مؤجلون، ومدينون مقتضون، أجل منقوص، وعمل محفوظ، فربّ دائب مضيع، وربّ كادح خاسر، وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إديارا، والشر فيه إلا إقبالا، ولا الشيطان في هلاك الناس إلا طمعا، فهذا أوان قد قويت عدته، وعمت مكيدته، وأمكنت فريسته، اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلا فقيرا يكابد فقرا، أو غنيا بدّل نعمة الله كفرا، أو بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا، أو متمردا كأنّ بأذنه عن سمع المواعظ وقرا، أين خياركم وصلحاؤكم، أين أحراركم وسمحاؤكم"⁽¹⁾.

الخراج واهتمام الإمام علي (ع) بحقوق الناس:

كتب الإمام علي (ع) إلى عماله على الخراج يحثهم على إنصاف الناس وقضاء حوائجهم، وعدم المساس بأموالهم:

"أما بعد، فإن من لم يحذر ما هو صائر إليه، لم يقدم لنفسه ما لم يحرزها، واعلموا أن ما كلفتم به يسير وأن ثوابه كثير.. فأنصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم، فإنكم خزان الرعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة. لا تحسموا أحدا عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا، ولا تضرين أحدا سوطا لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس: مصل ولا معاهد إلا أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدى به على أهل الإسلام، فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه"⁽²⁾.

¹ - نهج البلاغة الخطبة 129، الدكتور صبحي الصالح، ص 187

² - نهج البلاغة، الدكتور صبحي الصالح ص 425-426

كران الإمام علي (ع) يوصي عماله على الخراج بأن لا يبيعوا الناس كسوة شتاء ولا صيف، بل أن لا يلجئوهم لبيع ملابسهم أو دابة يعتملون عليها أو عبدا من أجل تسديد ما عليهم، أنها قمة الإنسانية، التي لم تحدث من أي من حكام الدنيا على مرّ التاريخ.

وكان الإمام علي (ع) يوصي ولاته بأن يهتموا بعمارة الأرض قبل الاهتمام بالخراج حيث جاء في عهده لمالك الأشر:

"وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأنّ ذلك لا يدوِّك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلا"⁽¹⁾.

¹ - شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ص546

الانتصار للمظلوم:

عرف عن الإمام علي (ع) اهتمامه الشديد بالمظلومين ووصاياه المشددة لولاته وعماله بأن لا ينتقصوا حقّ ولا يظلموا حق أحد، وكان من ضمن وصاياه، ما قاله لولديه الحسن والحسين (ع) بأن يكونا للظالم خصما للمظلوم عوناً، وفي هذا الصدد يتحدّث الكاتب جورج جرداق:

"لم يكن في عرف الإمام علي (ع) محاباة الكبراء والمترفين والأغنياء على حساب الفقراء والمستضعفين، فميزان الحق والعدالة لديه هو الانتصار للمظلوم مهما بلغ من شدة الفقر، والوقوف بوجه الظالم مهما بلغ من الغنى والجاه والثروة، ولم يقتصر الأمر عليه بل أوصى بها بنيه لتكون قاعدة إنسانية يسير عليها جميع البشر التائقين للعدالة الإنسانية، فقد أوصى ولديه الحسن والحسين (ع) بقوله:

"وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا"⁽¹⁾.

وكانت قاعدته الأساسية التي عبّر عنها لتبقى سراجاً يستضيء به طلاب الحق والعدل:

"الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والعزيز عندي ذليل حتى أخذ الحق منه".

وبوجّه الإمام (ع) خطابه للعلماء لأنهم المحور الذي تتوجه من خلاله بوصلة الأمة فإذا صلحوا صلحت الأمة وإذا فسدوا فان مصير الأمة إلى الفساد، فهم القدوة وهم حملة العلم والشريعة، ويتوجّب عليهم ألا يسكتوا عن ظلم الظالمين، وعليهم أخذ حق المظلومين:

"وقد أخذ الله على العلماء ألا يقاروا⁽²⁾ على كظة⁽³⁾ ظالم ولا سغب⁽⁴⁾ مظلوم"⁽⁵⁾.

1 - الامام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، ص 177

2 - لا يقاروا : لا يسكتوا

3 - الكظة : ما يعترى الإنسان عند الامتلاء من الطعام ، و هي كناية عن أخذه ما لا يحل له ، و المعنى : إن الله جلّ جلاله أوجب على العلماء دفع الظالمين ، وأخذ حقوق المظلومين .

4 - السغب : الجوع ، و هو كناية عن أخذ حقوقه .

5 - نهج البلاغة، شرح محمد عبده، من خطبة الامام علي (ع) المعروفة بالشقشقية، دار البلاغة، ج 1 ص 91، وكذلك شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، المتوفي سنة 679هـ، ص 90

وتلك هي وصية الإمام علي (ع) لولديه الحسن والحسين (ع)، حين أوصاهما بتقوى الله ومن ثم عرّج علي مسألة المظلومين، حيث أمرهما بأن يكونا للظالم خصما وللمظلوم عوناً وأن لا تأخذهما في الله لومة لائم، وأوصى ولده محمد بن الحنفية بمثله.

"أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما منها، قولا الحق، وارجما اليتيم، وأعينا الصانع واصنعا لأخرق، وكونا للظالم خصما وللمظلوم عوناً، ولا تأخذكما في الله لومة لائم، ثم نظر إلى ابن الحنفية، فقال: أسمعت ما وصيتهما به؟ قال: نعم، قال وأوصيك بمثله.."⁽¹⁾.

وكان الإمام (ع) يهتم بأن يذكر جميل وحسن صنيع ولاتته، حتى لا يبخسهم حقهم، فكما كان يحاسب الولاة على التقصير، فانه لا ينسى ذكر جميل الصنع من الولاة الآخرين، حيث كتب إلى سعد بن مسعود الثقفي، عامله على المدائن وجوخى:

"أمّا بعد فقد وفّرت على المسلمين فيئهم، وأطعت ربك، ونصحت امامك فعل المتنزّه العفيف، فقد حمدت أمرك ورضيت هديك، وأببت رشذك غفر الله لك والسلام"⁽²⁾.

¹ - أمالي الزجاج، عبد الرحمن بن اسحق البغدادي النهاوندي الزجاجي، المتوفي سنة 337هـ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط2، 1407هـ، 1987م، ج1 ص176

² - أنساب الأشراف، الامام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ج2، ص 387، أبت ابابته: استقامت طريقته.

الإمام علي (ع) بنظر العظماء

من يتسم بالفكر العميق والرؤية الثاقبة والروح الشفافة وصفاء الضمير يدرك العظمة الحقيقية عند الإمام علي (ع)، أما أولئك الذين تتحكّم فيهم العصبية وتسيطر على عقولهم المبادئ الجاهلية فإنهم عندما يرون ضوء الشمس يغمضون أعينهم لكيلا يشع على أعماق قلوبهم، فلا يرون الا الظلمة الباطنة في ذواتهم المريضة، ويحاولون إنكار كل فضيلة لهذا الرجل العملاق، الذي شمل نوره كل البشرية ولم تحجبه محاولات الطمس التي مارسها أعداؤه حقدا عليه وطمعا في الدنيا وزخرفها.

الإمام علي (ع) أكبر من أن تطمس نوره تلك المحاولات البائسة من مرضى النفوس والقلوب، فلم يستطع معاوية وهو الذي تسلط على رقاب المسلمين وجعل سبب علي (ع) سنة على المنابر لمدة تربو على ثمانين عاما وقام بملاحقة أنصاره وأصحابه يقتلهم ويعذبهم ويحرمهم، لم يستطع مع كل تلك الأساليب أن يطمس نور الإمام المتألق، ولقد شعّ نور علي (ع) ليصل الى كل ضمير إنساني حيّ فينيره بنور القيم والمبادئ الإنسانية التي توافقت عليها جميع الأديان السماوية.

وممن استضاء بنور الإمام علي (ع) الكثير من البشر ممن لم يكونوا على مذهب أهل البيت (ع)، بل حتى ممن لم يكونوا على دين الإسلام، لكن القيم التي كانت تشع من علي ومبادئه جعلتهم يقفون مشدوهين أمام هذه الشخصية العظيمة التي خلّدها التاريخ كما لم يخدأ أحدا مثلها سوى الرسول الأعظم محمد (ص).

وكان لنا شرف اللقاء بأحد هؤلاء الكبار المستضيين بنور الهداية حينما كنا ندرس الماجستير في جامعة بيروت العربية سنة 2007م مع مجموعة من الأخوة البحرينيين حيث كنا نزور السيدة زينب (ع) في كل مرة نسافر فيها إلى جامعة بيروت، الدكتور زهير غزاوي أحد المثقفين والديبلوماسيين الفلسطينيين سابقا، حيث كان عضوا في حركة فتح وبسبب اطلاعه الواسع التحق بمذهب أهل البيت (ع) فطرد من وظيفته

كديبلوماسي كما حصلت له العديد من المضايقات بالرغم من أنّه كان من المعتدلين في فكرهم، التقينا معه في مقر سكننا بالسيدة زينب (ع)، ودار حديث ودّي بيننا وبينه وكان مما قاله "إنني أتعامل مع الإمام علي (ع) كصديق لذلك اشعر بالقرب الدائم منه وعدم وجود الحواجز التي تفصلني عنه".

نعم هذا الرجل كان يتعامل مع الإمام بالفطرة والبساطة مما جعله يستشعر القرب الدائم من الإمام وله مؤلفات منها كتاب الإمام جعفر الصادق بين الحقيقة والنفي وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة 2012م، ودفن في دمشق حيث يسكن في مخيم البرموك هناك.

والشخص الآخر الذي تشرفت بالحديث معه هو ذلك العملاق المسيحي الكاتب جورج جرداق مؤلف كتاب "الإمام علي صوت العدالة الإنسانية" ولد في جديدة مرجعيون جنوب لبنان وتخرج من الكلية البطريركية، توفى جورج جرداق في 6 نوفمبر 2014م.

كان لي شرف الحديث معه قبل وفاته بفترة وكان يرقد في المستشفى دون أن أعلم، وكنا نبحث عن شخصية تشاركنا في عيد الغدير في البحرين فقررنا الاتصال به والطلب منه المشاركة، فقامت بالاتصال به ولكن المفاجأة أنه كان مريضا حيث كلمتني زوجته وأخبرتني بأن يرقد بالمستشفى وحين عرف بأن الهاتف من البحرين طلب منها الهاتف وكلمني بكل أدب واحترام بالرغم من معاناته مستفسرا عن سبب الاتصال وحين أخبرته بطلبنا للمشاركة سرّ سرورا كبيرا وتأسّف لأنه يرقد بالمستشفى وقال: "يشرفني أن أشارككم بالحديث عن هذه الشخصية العظيمة ولكن للأسف الشديد يمنعني المرض، أتمنى أن أقوم قريبا وأنا على استعداد للمشاركة".

وكان مما قاله هذا الرجل عن الإمام علي (ع) "انك ما ضربت بعينيك صفحات هذا التاريخ إلا لتدرك حقيقة حقّة، وهي أنك قلّما تجد في شخصياته العظيمة من أجمع الناس على حبّه وإجلاله والانتصار له، إجماعهم على حب عليّ بن أبي طالب، وعلى إجلاله والعطف على قضاياه"⁽¹⁾.

ويقول عنه أيضا "العظيم الذي مدّ الأفكار والضمائر بما لا ينضب له معين وبما لا يؤثر فيه زمان ولا مكان فإذا به ملاذ يلجأ إليه طلاب الحقّ والعدل في الناس، وأبّ يستضلّ بأفيائه الوارفة من شعروا بالظلم يجور على العدل وبالقسوة تكتسح العطف وبالشّرّ يفترس الخير وبالإثم يعلو ويصبح له دولة وسلطان"⁽²⁾.

"وانه لمن مفاخرنا نحن العرب، أن يكون في تاريخنا أمثال علي الذي أوحى مثل هذا الحب، وانطلق من نطاق الخصوصية إلى النطاق الواسع العام، فإذا أمره لا يعني حزبا من الأحزاب أو طائفة من الطوائف أكثر مما يعني الناس جميعا، وإذا سيرته مصدر أدب رفيع في كلّ عصر ومصر، وما ذاك إلا لأنّ الصفات التي تميّزت بها شخصيّة الإمام الظاهرة في أعماله وأقواله، هي صفات تجوز، بما فيها إنسانية وعالمية، حدود الزمان والمكان، كما تجوز حدود الأحزاب والطوائف، وبمثل عليّ يتوحد الناس ويتداعون إلى التعاون من أجل الخير"⁽³⁾.

ولعلّ الأبيات الخالدة التي نظمها أبو العلاء المعرّي في الإمام علي (ع) وابنه الإمام الحسين (ع) تأتي في مقدّمة ما نظمه العظماء في الإمام (ع)، فتلكم الأبيات تتغلغل في النفوس حتى تلامس شغاف القلوب، حتى

1 - الامام علي صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ص 947

2 - المصدر نفسه ص 248

3 - المصدر نفسه ص 248

ليعجز اللسان عن التعبير بما يخلج القلب من معانٍ عميقة تتضمنه هذه الأبيات، إنها لوحة فنية رائعة يستطيع إدراك تعابيرها كل من لديه أدنى معرفة بأساسيات اللغة⁽¹⁾:

وعلى الدهر من دماء الشهداء علي وابنه شاهدان
فهما في أواخر الليل فجران وفي أولياته شفقان
ثبتا في قميصه ليجيء الحشر مستعديا الى الرحمن

يقول جورج جرداق في وصف هذه الأبيات: "فانظر إلى مقدار العاطفة التي تتوهج في قلب عظيم المعرفة، اذ يتحدث عن الإمام علي وابنه الحسين، وان العاطفة إذا اتسعت وعمقت لا بد لها أن تحيي مثل هذه اللوحة التي شارك في تكوينها وتلوينها الخيال والعقل جميعا"⁽²⁾.

وعندما نذكر الشعراء الذين نظموا في الإمام علي (ع) فإننا لا يمكن أن نغفل تلك الملحمة الخالدة التي نظمها الشاعر المسيحي بولس سلامة:

يا إله الأكوان أشفق علياً لا تمتني غبّ العذاب شقياً
أولني أجر عاملٍ في صعيد الحق يبغي ثوابك الأبدياً
مصدرَ الحق لم أقل غير حق أنت أجريته على شفتياً
أنت ألهمتني مديح علي فهمي غيدق البيان علياً
وتخيرت للأمير وأهل البيت قلباً أثرته عيسوياً

¹ - الإمام علي صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ص 949

² - المصدر نفسه، ص 949

هكذا كان صهر أحمد يضي
نبله ملء سرحة الدهر فياً
هو فخر التاريخ لا فخر
شعب يدّعيه ويصطفيه ولياً

نعم فالشاعر المسيحي يعتبر مديح الإمام علي (ع) إلهاما من الله تعالى له، كما أن الإمام هو فخرٌ لتاريخ البشرية جمعاء بدلا من أن يكون فخرا لشعب محدود، وليس الهوى لأمير المؤمنين مقصورا على الشيعة بل لكل المنصفين من البشر سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين أو غيرهم ممن ينتحلون أي ديانة سماوية أو أرضية:

لا تُقلّ شيعةً هُواةً عليّ إن في كل منصف شيعةً
إنما الشمس للنواظر عيد كل طرف يرى الشعاع السنيّاً

كانت الملحمة التي نظمها هذا الشاعر العظيم، ملحمة رائعة استطاع من خلالها وصف حال المسلمين بما لم يصفه أي شاعر، ومن دون موارد، بل تحدّث فيها عن الحكام الأمويين بأفعالهم مستثنيا عمر بن عبد العزيز الذي رفض الظلم، وذاكرا أفعال بن مروان والوليد بن يزيد الذي دأب على شرب الخمر والسكر لدرجة تمزيقه للقرآن الكريم معرّجا على هشام بن عبد الملك وحالد القسري ثم الحجاج، الى أن يصل الى هذه الأبيات الرائعة:

جلجل الحق في المسيحيّ حتى عدّ من فرط حبه علويا
فاذا لم يكن عليّ نبيا فلقد كان خُلقةً نبويا
يا سماء اشهدي ويا أرض قري واخشعي إنني أحب عليا
لا تقل شيعةً هُواةً عليّ إن في كل منصفٍ شيعيا

أما ابن أبي الحديد المعتزلي فقد نظم قصيدة رائعة في الإمام علي (ع) تدلّ على إدراكه لعمق وعظمة هذه الشخصية حيث يقول:

يا هازم الأحزاب لا يثنيه عن خوض الحمام مدجج ومدرع

يا قالع الباب التي عن هزها عجزت أكف أربعون وأربع

لولا حدوتك قلت : انك جاعل الـ أرواح في الأشباح والمستنزع

لولا ممانتك قلت : انك باسط الـ أرزاق تقدر في العطاء وتوسع

ويقول ابن أبي الحديد أنه لا يستطيع مدح الإمام فتصبيه اللكنة بالرغم من أنه معروف بالخطابة ومشهور بالقدرة عليها والتمكن منها:

أنا في مديحك ألكن لا أهتدي وأنا الخطيب الهبزي المصقع

أقول فيك سميدع كلا ولا حاشا لمثلك أن يقال سميدع

بل أنت في يوم القيامة حاكم في العالمين وشافع ومشفع

ويصل الحب بابن أبي الحديد المعتزلي لدرجة أنه يعتبر أن الحساب يوم القيامة يقاس على حب الإمام علي (ع) فهو الملاذ والمفرع في ذلك اليوم وهذا يعني كما قال الرسول (ص):

"حب علي حسنة"

يقول ابن أبي الحديد:

لي فيك معتقد سأكشف سره فليصغ أرياب النهى وليسمعوا

هي نفثة المصدور يطفئ بردها
حر الصبابة فاعذلوني أو دعوا
والله لولا حيدر ما كانت الـ
دنيا ولا جمع البرية مجمع
واليه في يوم المعاد حسابنا
وهو الملاذ لنا غدا والمفزع

يقول بالرغم من أنني من المعتزلة إلا أنني أهوى كل من يتشيع لك يا علي، بل أنه ينتظر الإمام المهدي (ع) لنصرته:

ورأيت دين الاعتزال وأنني
أهوى لأجلك كل من يتشيع
ولقد علمت بأنه لا بد من
مهديكم وليومه أتطلع
يحميه من جند الإله كتائب
كاليم أقبل زاخراً يتدفع
فيها لال أبي الحديد صوارم
مشهورة ورماح خط شرع

وذلك جبران خليل جبران الذي يقول عنه جورج جرداق بأنه الفنان العربي المبدع ظلّ طول حياته يبحث عن الوجوه الصافية من خلال صفحات التاريخ، رغبة منه في تجسيم مثاليته الاجتماعية والإنسانية في أشخاص من لحم ودمن وقد هرع بقلبه إلى نيتشة مرّة والى بودا، والى وليم بلايك واضربه ممن رأى أنهم يجسمون أشياء في نفسه يريد لها بقاء أبدياً⁽¹⁾.

غير أن ثلاثة من عظماء الإنسانية ملئوا قلبه، فإذا هم يمثلون الكمال الإنساني في أروع مظاهره وأصفى صفاته، وهم المسيح ومحمد وعلي.

¹ - الامام علي صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ص 951

يقول في علي: "في عقيدتي أن ابن أبي طالب كان أول عربي لازم الروح الكلية، وجاورها، وسامرها، وهو أول عربي تناولت شفتاه صدى أغانيها على مسمع قوم لم يسمعو بها من قبل، فتأهوا بين مناهج بلاغته، وظلمات ماضيهم، فمن أعجب به كان إعجاباً موثقاً بالفطرة، ومن خاصمه كان من أبناء الجاهلية..

ثم يقول: مات علي بن أبي طالب شهيد عظمتة...

مات والصلاة بين شفتيه...

مات وفي قلبه شوق إلى ربه...

ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره، حتى قام من جيرانهم الفرس أناس يدركون الفارق بين الجوهر والحصي..

مات قبل أن يبلغ العالم رسالته كاملة وافية، غير أنني أتمنله مبتسماً قبل أن يغمض عينيه عن هذه الأرض..
مات شأن جميع الأنبياء الباصرين الذين يأتون إلى بلد ليس ببلدهم، وفي زمن ليس بزمنهم، ولكن لربك شأن في ذلك، وهو أعلم).

جبران يصف عن الإمام علي بن أبي طالب (ع) بأنه أول عربي لازم الروح الكلية، لقد مات ابن أبي طالب والصلاة بين شفتيه وهو في شوق إلى ربه، ولم يعرف العرب مقامه، لقد كان الإمام علي (ع) يعيش في مكان غير مكانه وفي زمان غير زمانه، لأنهم لم يعرفوا قدره.

وماذا يقول ميخائيل نعيمة عن الإمام علي (ع):

"أنا ما عرفت في كل من قرأت لهم من العرب رجلاً دانت له اللغة مثلما دانت لابن أبي طالب، سواء في عذاته الدينية، وخطبه الحماسة ورسائله التوجيهية، أو في تلك الشذور المقتضبة التي كان يطلقها من حين

إلى حين مشحونة بالحكم الزمنية والروحية، ومتوهجة ببوارق الإيمان الحي ومدركة من الجمال في البيان حد الإعجاز، فكأنها اللآلئ بلغت بها الطبيعة حد الكمال، وكأنه البحر يقذف بتلك اللآلئ دونما عنت أو عناء⁽¹⁾.

هذا الوصف لتمكّن الإمام علي (ع) من اللغة العربية وعدم قدرة الآخرين على مجاراته فيها يأتي من رجل مسيحي يعد من أكثر الناس تمكّنا من اللغة العربيّة وآدابها ومعرفة بأساليبها اللغوية والبلاغية، يصف تمكّن الإمام علي (ع) كأنّه البحر يقذف باللآلئ، ولا غرو فالإمام علي (ع) لم يسبقه أحد ولن يصل إليه في بلاغته وتمكّنه من استخدام أدوات اللغة فهو الواضع لعلم النحو حين أملى على تلميذه أبي السود الدؤلي قواعده.

ثم يقول:

"ليس بين العرب من صفت بصيرته صفاء بصيرة الإمام علي. ولا من أوتي المقدرة في اقتناص الصور التي انعكست على بصيرته وعرضها في إطارٍ من الروعة هو السحر الحلال. حتى سجعه، وهو كثير، يسطو عليك بألوانه وبموسيقاه ولا سطو القوافي التي تبدو كما لو أنها هبّطت على الشاعر من السماء، فهي ما اتخذت مكانها من أواخر الأبيات إلا لتقوم بمهمة يستحيل على غيرها القيام بها، إنها هناك لتقول أشياء لا تستطيع كلمات غيرها أن تقولها، فهي كالغلق في القنطرة".

ثم يقول: "ان عليًا لمن عمالقة الفكر والروح والبيان في كل زمان ومكان"⁽²⁾.

أما النظام فيقول عن الإمام علي (ع) "أنه محنة على المتكلم إن وفاه حقه غلا وإن بخسه حقه أساء".

1 - الإمام علي صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ص 953

2 - المصدر نفسه ص 954

وما أصدق الوصف الذي وصفه الفيلسوف الإنكليزي توماس كارليل للإمام علي (ع)، انه يعبر عما في وجدانه من إحساس عميق بحب هذه الشخصية التي سيطرت على عقله وحواسه فوصف الإمام بما يعجز عن وصفه الشعراء والأدباء، فلا يسع المرء وهو يتابع سيرة هذا العظيم إلا أن يحبه ويعشقه كما يعبر كارليل لأنه يتمتع بصفات تبدو متناقضة ولكنها لا تجمع إلا في شخصيات العظماء فهو شريف القدر عالي النفس، الرحمة تفيض من وجدانه وهو إلى جانب شجاعته فان هذه الشجاعة تمتزج بالبرقة واللطف ولكم الصفات لا تجتمع إلا في العظماء، يقول:

"أما علي فلا يسعنا إلا أن نحبه ونعشقه، فإنه فتى شريف القدر، عالي النفس، يفيض وجدانه رحمة وبراً، ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة، وكان أشجع من ليث، ولكنها شجاعة ممزوجة بركة، ولطف، ورأفة، وحنان"⁽¹⁾.

أما البارون الفرنسي كارا ديفو فانه يتحدث عن الشجاعة الفريدة التي كان يتّصف بها الإمام علي (ع)، والتي تفوق طاقة البشر العادي، ففي عزّ شبابه قاتل أشدّ الأبطال في قريش وكانت ضرباته تشطر الفارس الى شطرين:

"وحارب عليّ بطلا مغوارا إلى جانب النبي وقام بمآثر ومعجزات، ففي موقعة بدر كان عليّ وهو في العشرين من عمره يشطر الفارس القرشي إلى شطرين اثنين بضربة واحدة من سيفه، وفي أحد تسلح بسيف النبي ذي الفقار فكان يشق المغافر بضربات سيفه ويخرق الدروع، وفي الهجوم على حصون اليهود في خيبر، قلقل عليّ باباً من حديد، ثم رفعه فوق رأسه متّخذاً منه ترساً مجنّاً، أما النبي فكان يحبه ويثق به ثقة عظيمة، وقد قال ذات يوم وهو يشير إلى علي: من كنت مولاه فعليّ مولاه"⁽²⁾.

1 - محمد المثل الأعلى، توماس كارليل، تعريب محمد السباعي، مكتبة الآداب، القاهرة، 1993م ص35
2 - الإمام علي صوت العدالة الانسانية جورج جرداق، ص 959، وهذا المقطع ترجمة المؤلف عن كتاب "مفكروا الاسلام" للبارون كارا ديفو باللغة الفرنسية.

علي (ع) يصف المتقين

كان أحد أصحابه يدعى همام وكان على درجة كبيرة من الزهد والتقوى حتى كان يعد من الزهاد الثمانية الذين اشتهروا بالزهد في صدر الإسلام، طلب من الإمام علي (ع) أن يصف له المتقين كأنه يراهم، وكان الإمام علي (ع) يدرك بأن هذا الرجل لشدة ورعه وتقواه لا يستطيع تحمّل الصفات التي سيذكرها أمير المؤمنين، لذلك كان يصدّه ويتجنّب الوصف المستفيض، لكن همام أصر على علي (ع)، فاضطر أمير المؤمنين أن يصف له المتقين فصعق صعقة مات فيها، فقال أمير المؤمنين (ع): هكذا تفعل المواعظ بأهلها، أما والله لقد كنت أخافها عليه.

ومما جاء في قصته مع الإمام علي (ع):

يا أمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأني أنظر، فتناقل عليه السلام عن جوابه، ثم قال:

يا همام اتق الله وأحسن فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي محمد ثم قال:

"إنّ المتقين في الدنيا هم أهل الفضائل، منطقتهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيمهم التواضع، خضعوا لله بالطاعة، غاضين أبصارهم عمّا حرّم الله عزّ وجل، واقفين أسماعهم على العلم، نزلت منهم أنفسهم في البلاء، كالذي نزلت في الرخاء، رضى بالقضاء، لولا الأجال التي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب.

عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنّة كمن قد رآها فهم منعمون، وهم والنار كمن قد رآها، وهم فيها معدّبون، قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم

عفيفة، ومعونتهم للإسلام عظيمة، صبروا أياماً قصاراً، فأعقبتهم راحة طويلة مريحة، يسرها لهم ربّ كريم، أرادتهم الدنيا ولم يريدوها، وطلبتهم فأعجزوها.

أما الليل فصاقون أقدامهم، تالون لأجزاء القرآن، يرتلونه ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائم، وتهيج أحزانهم بكاءً على ذنوبهم، ووجع كلومهم وجراحهم، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت أنفسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نصب أعينهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف، أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم، ومفترشون جباههم وأكفهم، وأطراف الأقدام، يطلبون إلى الله العظيم في فكاك رقابهم.

أما النهار فحكّاء علماء، أبرار أتقياء، قد براهم الخوف أمثال القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، ويقول: قد خولطوا، وقد خالط القوم أمر عظيم، إذا هم ذكروا عظمة الله تعالى، وشدة سلطانه، مع ما يخالطهم من ذكر الموت وأهوال القيامة، أفزع ذلك قلوبهم، وطاشت له أحلامهم، وذهلت له عقولهم، فإذا أشفقوا من ذلك بادروا إلى الله بالأعمال الزاكية، لا يرضون باليسير، ولا يستكثرون له الكثير.

هم لأنفسهم متّهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكي أحدهم خاف ممّا يقولون، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم بي منّي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً ممّا يظنّون، واغفر لي ما لا يعلمون، إنّك علامّ الغيوب.

فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوّة في دين، وخوفاً في لين، وإيماناً في يقين، حرصاً في علم، وكيساً في رفق، وشفقة في نفقة، وفهما في فقه، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجملاً في فاقة،

وصبراً في شدة، ورحمة للمجهود، وإعطاء في حق، ورفقاً في كسب، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى،
وتحرجاً عن طمع، وبراً في استقامة، واعتصاماً عند شهوة.

لا يغرّه ثناء من جهله، ولا يدع إحصاء عمله مستبطناً لنفسه في العمل، يعمل الأعمال الصالحة، وهو على
وجل، يمسي وهمّه الشكر، يصبح وهمّه الذكر، يبيت حذراً، ويصبح فرحاً حذراً لما حذر من الغفلة، فرحاً بما
أصاب من الفضل والرحمة.

إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره، لم يعطها سؤلها فيما هويت، فرحه فيما يحذر، وقرة عينه فيما لا يزول،
وزهادته فيما يفنى، يمزج الحلم بالعلم، ويمزج العلم بالعمل، تراه بعيداً كسله، دائماً نشاطه، قريباً أمله، قليلاً
زلله، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، متغنياً جهله، سهلاً أمره، حريزاً دينه، ميتة شهوته، مكظوماً غيظه، صافياً
خلقه، لا يحدث الأصدقاء بالذي يؤتمن عليه، ولا يكتم شهادة الأعداء، لا يعمل شيئاً رثاء، ولا يتركه
استحياء.

الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين، يعفو عمّن ظلمه، ويعطي من
حرمه، ويصل من قطعه، لا يعزب حلمه، ولا يعجز فيما يزينه، بعيداً فحشه، لئناً قوله، غائباً مكره، كثيراً
معروفه، حسناً فعله، مقبلاً خيره، مدبراً شره، فهو في الزلازل وقور، وفي المكاراة صبور، وفي الرخاء شكور.

لا يحيف على من يبغض، ولا يأنم فيمن يحب، ولا يدعي ما ليس له، ولا يجحد حقاً هو عليه، يعترف بالحق
قبل أن يشهد عليه، لا يضيع ما استحفظ، ولا يناز باللقاب، لا يبغي ولا يهم به، ولا يضار بالجار، ولا

يشمت بالمصائب، سريع إلى الصواب، مؤد للأمانات، بطئ عن المنكرات، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، لا يدخل في الدنيا بجهل، ولا يخرج من الحق.

إن صمت لم يغمه الصمت، وإن ضحك لم يعل به الصوت، قانع بالذي له، لا يجمع به الغيظ، ولا يغلبه الهوى، ولا يقهره الشح، ولا يطمع فيما ليس له، يخالط الناس ليعلم، ويصمت ليسلم، ويسأل ليفهم، لا ينصت للخير ليعجز به، ولا يتكلم به ليتجبر على من سواه، إن بغي عليه صبر، حتى يكون الله جل ذكره ينتقم له.

نفسه منه في عناء، والناس منه في رجاء، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه، بعده عمّن تباعد عنه بغض ونزاهة، ودنوه ممّن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده تكبراً ولا عظمة، ولا دنوّه خديعة ولا خلابة، بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير، وهو إمام لمن خلفه من أهل البر⁽¹⁾.

وقد استفاد الشاعر الشيخ حسن الدمستاني من خطبة الإمام علي (ع) التي استلهم الإمام معانيها من القرآن الكريم فنظم قصيدته اللامية في وصف المتقين حيث يقول وكأنّه يبالغ في وصفهم:

نحف الجسوم فلا يدرى إذا ركعوا قسيّ نبل هم أم ركّع نبل؟

ولكن مع كل هذا فان هذه المبالغة تعتبر من المدح المحمود، لأنها تصور حال المؤمنين الذين يقضون ليلهم قياماً لله تعالى كما قال تعالى في القرآن المجيد:

"وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا" (1).

¹ - نهج البلاغة، تحقيق فارس الحسون، مركز الأبحاث العقائدية، مطبعة ستارة، قم، إيران، ط1، سنة 1419هـ، ص 397-403

ولعل الشاعر الدمستاني تأثر بخطبة الإمام علي (ع) في وصف المتقين كما يوضح ذلك الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي في مقدمته لديوان الدمستاني⁽²⁾، إذ يستشهد الفضلي بخطبة المتقين:

"أجسادهم نحيفة، أما الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن.. يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم.. وأما النهار: ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا، ولقد خالطهم أمر عظيم، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير.."⁽³⁾.

وكذلك في خطبة أخرى:

"مره⁽⁴⁾ العيون من البكاء، خمص⁽⁵⁾ البطون من الصيام، ذبل⁽⁶⁾ الشفاه من الدعاء"⁽⁷⁾.

لقد كان تأثير القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ص) وخطب الإمام علي (ع) واضحا في أشعار الدمستاني حتى ليكاد يتفرد بأسلوبه الأدبي الخاص في التركيز على الجوانب الروحية التي تجعل هذا النوع من الناس زاهدين في ملذات الدنيا، متوجهين إلى خالقهم عندما ينام الناس وينشغلون بملذاتهم الدنيوية، فيقف هؤلاء والدموع تتحدر من وجناتهم طالبين من الله تعالى أن يعتق رقابهم من النار، وقد نحتل أجسادهم حتى ليخيل إلى الناظر بأنهم مرضى، ولكنهم غير ذلك لأن الشوق إلى خالقهم قد جعلهم مثل المجانين.

1 - الفرقان: 64-66.

2 - ديوان الشيخ حسن الدمستاني، الشيخ الحسن بن محمد بن علي بن خلف بن إبراهيم بن ضيف الدمستاني البحراني من عبد القيس توفي 1181هـ، دار المرتضى بيروت، ط1، 1426هـ/2005م.

3 - نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار البلاغة، بيروت، ط2، 1413هـ/1993م، الخطبة رقم 193 ص444.

4 - مره العيون: جمع أمره، وهو على صيغة أفعل الذي يجمع على فُعَل، كأحمر وحُمر، مأخوذ من «مَرَهَتْ عَيْنُهُ» إذا فسدت أو ابيضت حَمَالِقُهَا.

5 - خُمَصُ البطون: ضَوَامِرُهَا.

6 - ذُبِلَتْ شَفَتُهُ: جَفَّتْ وَبَيَسَتْ لذهاب الرِّيق.

7 - نهج البلاغة، مصدر سابق، الخطبة 121 ص287.

ولعلّ المتصوّفة قد صوّروا مثل هذه الحالات تأثراً بزهد رسول الله (ص) وتأسياً بحياته وحياة من تبعه من الزاهدين سواء من الصحابة أو التابعين، وصفهم الحسن البصري بقوله "أدرکت من صدور هذه الأمة قوما كانوا إذا جنّهم الليل فقياماً على أطرافهم، يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون مولاهم في فكاك رقابهم"⁽¹⁾.

وقد سلك ابن الفارض سلوك المتصوّفين في العبادات ونظم لها كثيراً حتى اشتهر بها، وكان له ديوانه الخاص الذي يبدأ بقصيدته التي يقول فيها:

سائق الأظعان يطوي البيد طيَّ منعماً عزّج على كئيبان طيَّ

ويقول النابلسي في شرحها بأن سائق الأظعان هو الله تعالى، والأظعان الناس، وكئيبان طيَّ كناية عن المقامات المحمدية، التي عددها كرمال الكئيب، فكأنه يلتمس منه تعالى أن يوصله إليها كما يوصل جميع المؤمنين إليها"⁽²⁾.

ولكن الدمستاني يختلف في تصوير شعره عن المتصوّفة، فهو وان شاركهم في وصف الزاهدين إلا أن المعاني التي كان يتناولها يستلهمها من القرآن بصورة مباشرة أو من أحاديث الرسول (ص) والإمام علي (ع)، فلا يستخدم الرموز للإشارة إلى المعنى بل يصوّر المعنى مباشرة ويشبّه حال الموصوف والممدوح بحال المريض ليقرب المعنى إلى ذهن السامع، وهو ما يبدو جلياً في قول الدمستاني:

ألا ترى أولياء الله قد هجرت طيب الكرى في الدياجي منهم المقلُّ

يدعون ربّهم في فك عنقهم من رق ذنبهم والدمع منهملُّ

¹ - ضيف، الدكتور شوقي، فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، 1971م، ط2، ص197

² - ضيف، د. شوقي، مصدر سابق، ص210

نحف الجسموم فلا يدري إذا ركعوا
قسي نبل هم أم ركع بتل
خمص البطون طوى ذبل الشفاه ظمى
عمش العيون بكى ما غبها الحكل
يقال مرضى وما بالقوم من مرض
أو خولطوا خبلا حاشاهم الخبل

وكعاداته يركّز الدمستاني على الخصال المعنوية في ممدوحيه ولا سيّما تلك المرتبطة بتزكية النفس وطول
العبادة وقيام الليل الذي استلهم معانيه من القرآن الكريم "وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا"، كما يركّز دائما
على عنصر الشجاعة البعيدة عن التهور والتي لا تستخدم إلا في خدمة الدين وتشبيده فيقول في مدح أهل
البيت (ع):

خميصون صوامون أكثر دهرهم
منبيون قوامون جنح ليالي
ضحكون بكؤون في الحرب والدعا
ثقال بها في السلم غير ثقال⁽¹⁾

¹ - الدمستاني، الشيخ حسن، ص71

التضرّع والخشوع عند الإمام (ع)

يعجز اللسان عن وصف حياة الإمام علي (ع) الروحية وتضرّعه وخشيته من الله تعالى، كما يعجز القلم عن الكتابة وهو يخطّ عن ورع الإمام وتقواه وزهده في هذه الحياة الدنيا.

الإمام علي (ع) هو إمام المتّقين وهو المعلّم الأول للزاهدين والخاشعين، فمنه يستلهمون دروس التضرّع إلى الله تعالى ومنه يخطّون طريق حياتهم الروحية.

جاءه أحد اصحابه المخلصين يوماً يطلب منه أن يعلّمه دعاء ينشره بين الناس، فعلّمه دعاء كميل الذي يقرأه المؤمنون كل ليلة جمعة لما يتضمّن من معان رائعة تجعل المرء يعيش حياة التذلل والخشوع إلى الله تعالى وهو ينتقل بين فقراته..

"اللهمّ إنّني أسألك برحمتك التي وسعت كلّ شيء، وبقوّتك التي قهرت بها كلّ شيء، وخضع لها كلّ شيء، وذللّ لها كلّ شيء، وبجبروتك التي غلبت بها كلّ شيء، وبعزّتك التي لا يقوم لها شيء، وبعظمتك التي ملأت كلّ شيء، وبسلطانك الذي علا كلّ شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كلّ شيء، وبأسمائك التي ملأت أركان كلّ شيء، ويعلمك الذي أحاط بكلّ شيء، وبنور وجهك الذي أضاء له كلّ شيء، يا نور يا قدّوس، يا أوّل الأوّلين، ويا آخر الآخرين".

ابتدأ الإمام (ع) الدعاء بسؤال الله تعالى برحمته الواسعة، والتي شملت كل الموجودات بمختلف تنوعاتها من انسان وحيوان وطيور ونبات بل كل شيء في هذا الكون العريض، ثم عرّج على ذكر القوّة والجبروت والعزّة

والعظمة، ويستمر الدعاء بتعداد صفات الله تعالى من السلطان إلى البقاء وأسماء الله تعالى وعلمه ونوره وجهه، وهي مداخل تمثل ادبا رفيعا في التخاطب مع الله تعالى وهي بمثابة المفاتيح لسؤال الله تعالى.

بعد التأدب الكبير في مخاطبة الله تعالى يدخل الإمام في طلب المغفرة من كل الذنوب، خصوصا تلك الذنوب الكبيرة التي تهتك العصم مثل شرب الخمر، واللعب بالقمار، وتنزل النقم وهي نقض العهد، وظهور الفاحشة، وشيوع الكذب، والحكم بغير ما أنزل الله، ومنع الزكاة وتطيف الكيل..، وكذلك التي تغيّر نعم الله تعالى على العبد ومنها قطع الرحم وتأخير الصلاة، وتحول بين الإنسان وبين قبول الدعاء وهي سوء النية، وخبث السريرة، والنفاق مع الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلاة المفروضة حتى تذهب أوقاتها..، وتلك الذنوب التي تنزل البلاء على الإنسان والتي منها ترك إعانة المظلوم.

"اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تغيّر النعم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء ، اللهم اغفر لي كل ذنب اذنبته وكل خطيئة اخطأتها".

تلك هي شذرات من بعض ما احتواه هذا الدعاء العظيم من معان عميقة ولو تعمقنا أكثر لسبر أغوار هذا الدعاء لأدركنا عظمة الإمام علي (ع) وعمق معانيه وكلماته التي تصل إلى قمة التذلل والخشوع إلى الله تعالى.

أما خشوعه في الصلاة فقد تعلّمه من رسول الله (ص) وهو مما لم يستطع الوصول إليه بشر بعدهما، لدرجة أن القرآن الكريم نزل في حقّه وهو راكع يصليّ عندما تصدّق بالخاتم على فقير لم يجد من يكسوه أو يتصدّق

عليه، فأشار الإمام علي (ع) على الفقير بخصره وهو في قمة الخشوع إلى الله تعالى، ففهم الفقير ونزع الخاتم من يد علي (ع)، فأُنزل الله تعالى فيه:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (1).

إنها الصلاة التي يحبها الله ورسوله والتي تؤدّب صاحبها بآداب الإسلام، والتي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأي معروف أكبر من التصدّق على فقير أتى يسأل الناس لشدة حاجته فلم يساعده أحد، فيتصدّق الإمام علي (ع) وهو في حال الركوع الذي يمثّل قمة الخشوع والتذلّل إلى الله تعالى.

وفي مسألة خشوع وتضرّع الإمام علي (ع) في صلاته يروي أبو الدرداء: كنا جلوساً في مجلسٍ في مسجد رسول الله (ص)، فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء:

يا قوم ألا أخبركم بأقلّ القوم مالاً وأكثرهم ورعاً وأشدّهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: من؟

قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) .

قال: فوا الله إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرضٌ عنه بوجهه، ثم انتدب له رجلٌ من الأنصار فقال له: يا عويمر: لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحدٌ منذ أتيت بها .. فقال أبو الدرداء:

يا قوم: إني قائلٌ ما رأيتُ وليقلُّ كلُّ قومٍ منكم ما رأوا، شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات² النجار، وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات³ النخل، فافتقدته وبعُد عليّ مكانه، فقلت: لحقّ بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين، ونعمة شجيّ وهو يقول:

1 - المائدة 55

2 - أي شجر يُتخذ منه القسي

3 - الشجر الكثير

"إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرّمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمّل غير غفرانك، ولا أنا براجٍ غير رضوانك".

فشغلني الصوتُ واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب (ع) بعينه، فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبثّ والشكوى، فكان مما به الله نجاه أن قال:

" إلهي أفكر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليّتي".

ثم قال: "آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تتجيه عشيرته، ولا تتفعه قبيلته، يرحمه الملائكة إذا أدن فيه بالنداء".

ثم قال: "آهمن نارٍ تنضج الأكباد والكلى، آه من نارٍ نزعاً للشوى، آه من غمرة من ملهبات لظى".

ثم أنعم في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر، قال أبو الدرداء: فأتيته فإذا هو كالخشب الملقاة، فحرّكته فلم يتحرك، وزوبته فلم ينزوي، فقلت:

"إنا لله وإنا إليه راجعون" مات والله علي بن أبي طالب، فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة (ع):

يا أبا الدرداء: ما كان من شأنه ومن قصته؟ فأخبرتها الخبر، فقالت: هي والله يا أبا الدرداء الغشبية التي تأخذه من خشية الله.

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، ونظر إليّ وأنا أبكي، فقال: مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟ فقلت: مما أراه تُنزله بنفسك، فقال:

يا أبا الدرداء: فكيف ولو رأيتني ودُعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشنتي ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ، فوقفْتُ بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء ورحمني أهل الدنيا، لكنك أشدّ رحمةً

لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية، فقال أبو الدرداء: فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله (ص) (1).

وصفه أحد أصحابه ويدعى ضرار بن عمرو حين اصرّ معاوية عليه، قال: له اعفني.

قال: لا أعفيك.

قال: إما إذا لابد: فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتتطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته.

كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما جشب كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا إذا أتيناه ويلبينا إذا دعونا ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ولا نبتديه لعظمته فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم كان يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فأشهد بالله أن أتيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تملل السليم ويبكي بكاء الحزين فكأنني الآن أسمع وهو يقول: يا دنيا يا دنيا ألي تعرضت؟ أولي تشوفت؟ هيهات غري غيري قد أبنتك ثلاثا لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كثير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق وبعد السفر قال: فوكفت دموع معاوية ما تملكها عن لحيته وهو يمسحها بكفه وقد اختنق القوم بالبكاء فقال معاوية: رحم الله أبا حسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: ضرار: حزني عليه حزن من ذبح واحدا في حجره فلا ترقا عبرتها ولا تسكن حرثها(2).

1 - أمالي الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه الصدوق، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، طهران، ط1، 1417هـ، ص 137

2 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، المهاجرون من الصحابة، علي ابن ابي طالب، وصف ضرار الكناني له في مجلس معاوية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة الإسلامية على شبكة الاسلام ويب: - ص 85، ذكره عبد الرحمن الشرقاوي في كتابه "علي امام المتقين"، دار الزهراء، بيروت لبنان، ط2، 1995م، ج1، ص26

وقال عنه الحسن البصري:

"كان والله سهما صائبا من مرامي الله على عدوه رباني هذه الأمة و ذا فضلها و ذا سابقتها و ذا قرابتها من رسول الله (ص) لم يكن بالثؤومة عن أمر الله و لا بالملومة في دين الله و لا بالسروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة"⁽¹⁾.

¹ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، مصدر الكتاب موقع الوراق، 342/1

وصية الإمام علي (ع) وهو على فراش الموت

كما بدأ علي (ع) حياته في بيت الله فقد اختتمها في بيت من بيوت الله تعالى، وليس من باب المصادفة أن تكون ولادته في بيت الله تعالى ثم تكون مكافأته لهذا البيت العظيم بأن يرقى كتف رسول الله ليحطم الأصنام من على جدار الكعبة حين فتح مكة، ثم يختتمها في بيت من بيوت الله وهو ساجد لله، ليطلق عبارته المشهورة:

"فرت ورب الكعبة"

وأى فوز أكبر من هذه الشهادة وهو في حالة الخشوع لله تعالى فيأتي أشقى الأشقياء كما وصفه رسول الله (ص) فيخضبه بدمه، دون مراعاة لحرمة المسجد ولا لمكانة الإمام (ع) من رسول الله ولا لوقت الصلاة التي قال فيها الله تعالى:

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى) (1).

ولكن هذا الرجل من الذين طبع الله على قلوبهم وزين لهم الشيطان أعمالهم، فأقدم على تلك الفعل الشنيعة بقتل إمام المتقين وهو مستقبل الكعبة ساجد لله في صلاة الفجر، ظنًا منه بأنه سينجو من فعلته، ولكن شاء الله أن يقع في قبضة المؤمنين وأن تغلق الأبواب في وجهه، وكان بإمكان أمير المؤمنين (ع) أن يعامله بالمثل وهو على فراش المرض، لكنه كان يحنو ويعطف حتى على قاتله فأوصى لولده الحسن (ع) قائلاً:

"ارفق يا ولدي بأسيرك وارحمه وأحسن إليه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيهِ قد طارتا في أمّ رأسه، وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفرعاً".

إنها أخلاق الأنبياء، التي لا يمكن أن يتصف بها البشر العادي، فالقاتل يقتل، ولكنه قال لهم ارفقوا به، فان عشت فأمره لي، وان مت فضربة بضربة ولا تمثلوا به، وأطعموه مما تأكلون، واسقوه مما تشربون، ولا تمثلوا به:

"نعم يا بني نحن أهل بيت لا نزداد على الذنب إلينا إلاً كريماً وِعفواً، والرحمة والشفقة من شيمتنا لا من شيمته، بحقي عليك فأطعمه يا بني مما تأكله ، واسقه مما تشرب، ولا تقيد له قدماً، ولا تغل له يداً"

"أنظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة، ولا يمتل بالرجل، فاني سمعت رسول الله (ص) يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور"⁽¹⁾.

فإن أنا مت فاقصص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة، ولا تمثل بالرجل فإني سمعت جدك رسول الله (ص) يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور، وإن عشت فأنا أولى بالعفو عنه ، وأنا أعلم بما أفعل به، فإن عفوت فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلاً عفواً وكرماً".

هذه هي أخلاق الإمام علي (ع) مع رجل وصفه رسول الله (ص) بأنه اشقي الأشقياء، حيث روى صهيب عن النبي (ص) أنه قال يوماً لعلي: من أشقى الأولين؟ قال الذي عقر الناقة يا رسول الله.

قال: صدقت، فمن اشقى الآخرين؟

قال: لا علم لي يا رسول الله.

قال: الذي يضربك على هذه، وأشار النبي الى يافوخه، فكان علي يقول لأهل العراق، وددت أنه قد انبعث أشقاكم يخضب هذه يعني لحيته، من هذه، ووع يده على مقدم رأسه"⁽²⁾.

1 - نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ج3، ص599

2 - - مجمع الزوائد، الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر بن سليمان الهيتمي المصري، ج9 ص131 الحديث 14776

وقد روت عائشة عن الرسول (ص)، قالت: "رأيت النبي (ص) التزم عليًا وقبّله، ويقول: بأبي الوحيد الشهيد، بأبي الوحيد الشهيد"⁽¹⁾.

تلك هي خاتمة أمير المؤمنين وقائد المتقين، انها حياة رجل عظيم، ولا يسع العظيم إلا أن يعيش حياة الشموخ حتى آخر لحظات حياته، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيًا.

¹ - المصدر نفسه، ج9 ص133 الحديث 14784

الأعلام:

- أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد الموسوي الأصفهاني ولد سنة 1284هـ وتوفي 1365هـ كان علماً من أعلام الدين وإماماً من أعظم أئمة المسلمين وقد انحصرت الرياسة العلمية في النجف لأشرف فيه وفي معاصره الميرزا حسين النائيني وقد ولد في العراق وسائر الأقطار، ثم انحصرت الرياسة فيه بعد وفاة النائيني سنة 1355هـ وقد تميز السيد الأصفهاني بقوة الشخصية، وعبقورية نادرة، ومؤهلات قيادية عالية، وكان كما وصفه معاصره السيد محسن الأمين: رجلاً كبير العقل، واسع العلم والفقهاء، بعيد النظر دقيقه، صائب الرأي، عميق الفكر، حسن التدبير، واسع التفكير، عارفاً بمواقع الأمور، جاهداً في إصلاح المجتمع - لو استطاع - شقيقاً على عموم الناس، عالي الهمة، سخي النفس، جليل المقدره، عظيم السياسة؛ مضافاً إلى مكانته العلمية في الفقه والاجتهاد، وإن ما حازه من الرياسة العامة كان عن جدارة واستحقاق¹.

- السيد مصطفى الخميني: برز دور الشهيد في مواجهة النظام بعد اعتقال الإمام الخميني (رض) عام 1383هـ، فكان له دور مهم في حركة 15 خرداد (12 محرم 1383هـ)؛ فقد خطب في أهالي مدينة قم المقدسة وفي صحن فاطمة المعصومة (ع) خطاباً حماسياً، هاجم فيه حكومة الطاغوت واستنكر اعتقال الإمام وشرح للجماهير كيفية الاعتقال.

تم اغتيال السيد مصطفى بالسم حيث ينقل عن سبب وفاته:

"في الصباح الباكر من يوم الأحد التاسع من ذي القعدة دخلت الخادمة على الشهيد بعد أذان الفجر لتقدم له الماء الساخن وطعام الفطور، فرأته مطروحاً على الكتاب ولم يتناول طعام عشائه، الطبيب الذي عاين الشهيد في مستشفى الكوفة أكد أن الشهيد قد سُم، وإذا أذن أهله فسوف يجري تشريح جثمانه لتثبت هذه الحقيقة، ولكن هذا الطلب ووجه برفض الإمام الخميني (رض)، وبعد ما علمت السلطات العراقية بهذا التصريح اعتقلت الطبيب لمدة يوم كامل ثم أطلقت سراحه أنظر الجهاد والشهادة، سيرة الشهداء، شهداء الجمهورية الإسلامية، الموقع الإلكتروني دار الولاية للثقافة والإعلام، 1 أغسطس 2007م.

- جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن مُطهر الحليّ. عُرف بـ "العلامة" ولد في 29 من شهر رمضان سنة 647هـ، هو العلامة على الإطلاق الذي طار ذكر صيته في

¹ - أنظر أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، حققه حسن الأمين، دار المعارف للطبوعات، بيروت لبنان، 1406هـ، 1986م، ج1 ص 332، وكذلك المرجعية المتميزة، السيد أبو الحسن الأصفهاني أنموذجاً، الشيخ الدكتور عبد الله أحمد اليوسف، ط1، 1432هـ، 2011م، ص17-18، وكذلك أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة 1419هـ- 1998م، ج3، ص 361.

الآفاق، ولم يتفق لأحد من علماء الامامية أن لقب بالعلامة على الإطلاق غيره، برع في المعقول والمنقول وتقدم وهو في عصر الصبا على العلماء الفحول وقال في خطبة المنتهى أنه فرغ من تصنيفاته الحكيمية والكلامية وأخذ في تحرير الفقه من قبل أن يكمل له 26 عاما، كما سبق غيره في فقه الشريعة وألف فيه المؤلفات المتنوعة من مطولات ومتوسطات ومختصرات، فكانت محط أنظار العلماء في عصره إلى اليوم تدریساً وشرحاً وتعليقاً أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج5 ص396

- الشيخ أحمد بن محمد الأردبيلي، المشهور بـ « المحقق، والمقدّس الأردبيلي »، من أشهر فقهاء الشيعة الإمامية في القرن العاشر الهجري، كان عالماً عاملاً محققاً مدققاً زاهداً عابداً ورعاً ولم يسمع بمثله في الزهد والورع، له كرامات ومقامات تُؤفّي في المشهد الغروي المقدّس بالنجف في شهر صفر سنة 993هـ، ودُفن في الحجرة المتصلة بالمخزن المتصل بالرواق الشريف. أنظر لؤلؤة البحرين، الشيخ يوسف بن أحمد البحراني، المتوفي سنة 1186هـ، ط1، 1429هـ، 2008م، مكتبة فخرآوي البحرين، وأعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، ج3 ص80

- خباب بن الأرت: خباب بن الأرت التميمي وكنيته أبو يحيى وقيل أبو عبد الله، صحابي من السابقين إلى الإسلام، وهو أول من أظهر إسلامه، اشترته أم أنمار بنت سباع الخزاعية وقيل أنها أمه، وكانت حليفة لبني زهرة من قريش، فانتفى لهم وأسلم وكان من المستضعفين. كان خباب سيفاً، يصنع السيوف ويبيعه لقريش، تم تعذيبه عذاباً شديداً بسبب سلامه فقد صبر ولم يُلن بأيدي الكفار على الرغم من أنهم كانوا يذيقونه أشد ألوان العذاب، فقد حولوا الحديد الذي بمنزله إلى سلاسل وقيود يحمونها بالنار ويلفون جسده بها، ولكنه صبر واحتسب.

- جويرية بن مسهر العبدية

أحد أخلص اصحاب الامام علي (ع) ومن الاوفياء ومن حملة اسرار الامام امير المؤمنين. قال ابن حجر: «جويرية بن مسهر العبدية، ويقال: ابن بشر بن مسهر، كوفي، روى عن عليّ، وعنه الحسن بن محبوب وجابر بن الحرّ. ذكره الكشي في رجال الشيعة وقال: كان من خيار التابعين». له موقع خاص عند الامام وهو من اهل الكوفة بقي حتّى وليّ زياد في أيام معاوية، فقطع يده ورجله، ثمّ صلبه إلى جذع ابن مكعب، وكان جذعاً طويلاً فكان تحته.

- كميل بن زياد النخعي

كُمَيْل بن زياد النَّخَعِيّ، من أعظم خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام وأصحاب سرّه، وهو الذي يُنسَب إليه الدعاء المشهور (دعاء كميل).
كان كُمَيْل من صحابة عليّ عليه السلام وشيعته وخاصّته، قتله الحجاج على المذهب فيمَن قتل من الشيعة. وكان كميل عامل عليّ عليه السلام على « هيت ».

- الأحنف بن قيس.

هو التابعي الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين الأمير الكبير العالم النبيل أبو بحر التميمي اسمه ضحاك وقيل صخر وشهر بالأحنف لحنف رجله وهو العوج والميل.

- سهل بن حنيف

سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمر بن خناس ويقال ابن خنساء بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك الأوسي الأنصاري أبو سعيد أو أبو سعد أو أبو عبد.
توفي بالكوفة سنة 38 وصى عليه الامام علي (ع)، لما مات جزع أمير المؤمنين(ع) عليه جزعا شديدا وصى عليه خمس صلوات وروي انه كان في بدء الإسلام أول سنة الهجرة يكسر اصنام قومه ليلا ويحملها إلى امرأة من الأنصار لا زوج لها ويقول لها احتطبي هذه وكان علي يذكر ذلك عن سهل بعد موته متعجبا به وشهد بدرا مع رسول الله وثبت يوم أحد وكان قد بايعه يومئذ على الموت فثبت معه حين انكشف الناس عنه وجعل ينضح عنه بالنبل فقال(ص) نبلوا سهلا فانه سهل ثم صحب عليا من حين بويح (حتى بويح) له وإياه استخلف علي حين خرج من المدينة إلى البصرة ثم شهد مع علي صفين وولاه علي فارس.

- عبدالله بن أوفى

عبد الله بن أبي أوفى واسم أبي أوفى: علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوزان بن أسلم الأسلمي. يكنى أبا معاوية. وقيل: أبو إبراهيم. وقيل: أبو محمد.

شهد الحديبية، وبايع بيعة الرضوان، وشهد خيبر وما بعدها من المشاهد، ولم يزل بالمدينة حتى قبض رسول الله، ثم تحول إلى الكوفة، وهو آخر من بقي بالكوفة من أصحاب النبي.

- رشيد الهجري

رشيد الهجري هو أحد أصحاب النبي محمد (ص) وأحد أنصار علي بن أبي طالب وحوارييه ومستودع أسراره أصله من هجر.

عن فضيل بن الزبير قال: خرج أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوماً إلى بستان البرني ومعه أصحابه، فجلس تحت نخلة، ثم أمر بنخلة فلقطت فأنزل منها رطب فوضع بين أيديهم. فقال رشيد الهجري: يا أمير المؤمنين، ما أطيب هذا الرطب! فقال: يا رشيد، أما إنك تُصَلِّب على جذعها.

و روي الشيخ المفيد «ره» عن زياد بن النصر الحارثي قال: كنت عند زياد إذ أتني برشيد الهجري، فقال له زياد: ما قال لك صاحبك- يعني عليا عليه السلام- انا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي و تصلبونني. فقال زياد: ام و الله لاكذبين حديثه خلوا سبيله، فلما اراد ان يخرج قال زياد: و الله ما نجد له شيئاً شراً مما قال له صاحبه اقطعوا يديه ورجليه و اصلبوه. فقال رشيد: هيهات قد بقي لي عندكم شيء اخبرني به امير المؤمنين عليه السلام. فقال زياد: اقعطوا لسانه. فقال رشيد: الآن و الله جاء تصديق خبر امير المؤمنين عليه السلام.

- الشيخ محمد بن الحسن الطوسي

أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (385هـ - 460هـ) شيخ الإمامية ورئيس الطائفة. سُمِّي بالطوسي؛ نسبةً إلى طوس ناحية في خراسان، توسَّعت فعُرفت بمدينة مشهد (مشهد الإمام الرضا عليه السلام)، وهي من أقدم مدن بلاد فارس وأشهرها، ومن مراكز العلم ومعاهد الثقافة بعد ورود الإمام الرضا عليه السلام إليها وتشييد قبره فيها. وُلد الشيخ الطوسي بخراسان سنة 385 هجرية، ودرس على أيدي أكابر العلماء وأفاضلهم، ومنهم: الشيخ المفيد، والشريف المرتضى

المصادر

1. استراتيجيات التنمية الاقتصادية في الفكر الإسلامي، دكتور عبس هاشم، دار الولاء، بيروت لبنان، ط1، 1433هـ، 2012م.
2. أسد الغابة، الإمام عز الدين بن الحسن علي بن محمد الجذري المعروف بابن الأثير (555-630هـ)، دار ابن حزم، ط1، 1433هـ، 2012م، بيروت لبنان.
3. الامام علي صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، دار ذوي القربى، قم، ط1، 1323هـ.
4. الأصول من الكافي، ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني المتوفي سنة 328|329هـ، مطبعة حيدري، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط5، 1363ش، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران.
5. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، حققه حسن الأمين، دار المعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، 1406هـ، 1986م.
6. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان ، الطبعة الخامسة 1419هـ- 1998م.
7. أمالي الزجاج، عبد الرحمن بن اسحق البغدادي النهاوندي الزجاجي، المتوفي سنة 337هـ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط2، 1407هـ، 1987م.
8. الأمالي، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (الشيخ الصدوق)، تحقيقي قسم الدراسات الإسلامية، ط1، 1417هـ، مركز الطباعة مؤسسة البعثة، طهران، إيران.
9. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الأستاذ علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1410هـ، 1990م.

10. أنساب الأشراف، الامام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي سنة 279هـ، حققه وقدم له الدكتور سهل زكار والدكتور رياض زركلي، بإشراف مركز البحوث للدراسات، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، 1417هـ، 1996م.
11. الأنوار البهية في تواريخ الحجج الالهية، عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي، مكتبة الرسول الأعظم (ص)، بيروت، 1983م.
12. بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، شبكة هجر الثقافية.
13. البداية والنهاية، ابو الفداء الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت ط 6، 1406هـ، 1985م.
14. البداية والنهاية، الحافظ الدمشقي ابن كثير المتوفي سنة 774هـ، منشورات دار المعارف، بيروت، ط5 1984م.
15. بصائر الدرجات الكبرى، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، منشورات دار الأعلمي، طهران، ايران.
16. تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة بريل بمدينة ليدن سنة 1879م.
17. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط1، 1431هـ، 2010م.
18. تاريخ مدينة دمشق، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر (499هـ-571هـ)، دراسة وتحقيق ابي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر ، ط1، 1417هـ، 1996م.

19. تاريخ مدينة دمشق، العالم الحافظ ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى 571هـ، تحقيق المحقق الخبير العلامة الحاج الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ايران، ط2 سنة 1414هـ.
20. التفسير الكبير، الفخر الرازي، ط1، المطبعة البهية المصرية، 1357هـ، 1938م.
21. حقوق الانسان عند الامام علي (ع)، د.غسان السعد، ط2، بغداد، العراق، 1428هـ، 2008م.
22. حياة الامام محمد الباقر (ع) دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، دار البلاغة، ط1، 1413هـ.
23. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور عد الله عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والاسلامية، القاهرة، ط1، 1424هـ، 2003م.
24. ديوان الشيخ حسن الدمستاني، الشيخ الحسن بن محمد بن علي بن خلف بن إبراهيم بن ضيف الدمستاني البحراني من عبد القيس توفي 1181هـ، دار المرتضى بيروت، ط1، 1426هـ/2005م.
25. الرسالة العلوية في فضل أمير المؤمنين علي سائر البرية، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، تحقيق السيد عبد العزيز الكرمي، ط1، 1427هـ، مكتبة العلامة المجلسي، قم، ايران.
26. سنن ابن ماجة، الحافظ عبد الله بن يزيد القزويني 207-275هـ، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث.

27. سنن النسائي، الإمام أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة 303 هـ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط1، سنة 1930م، 1348هـ، .
28. السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي توفي 841هـ، المطبعة الأزهرية (دار المعرفة)، 1381هـ.
29. سيرة النبي (ص)، ابو محمد عبد الملك بن هشام المتوفى سنة 183هـ، تحقي ودراسة مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 1416هـ، 1995م.
30. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن محمد بن ابي العز الدمشقي، حققه وقدم له الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤط، دار الرسالة، 1417هـ، 1997م.
31. شرح نهج البلاغة الوسيط، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، ايران، ط1، 1408هـ.
32. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (13 شوال 194 هـ - 1 شوال 256 هـ) / (20 يوليو 810 م - 1 سبتمبر 870 م).
33. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206 هـ - 261 هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
34. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، السيد جمال الدين أحمد بن علي الحسن المعروف بابن عنبه المتوفى سنة 828هـ، ط2، 1380هـ، 1961م، عني بتصحيحه محمد حسن آل الطالقاني، المطبعة الحيدرية النجف، العراق.
35. عيون أخبار الرضا، الشيخ علي بن بابويه الصدوق القمي (ت 329 هـ)، الناشر انتشارات الشريف الرضي، ط1، 1378هـ، مطبعة أمير، قم، ايران.

36. فصول في الشعر ونقده، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، 1971م، ط2.
37. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير المتوفي 630هـ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1407هـ، 1987م.
38. كتاب سليم بن قيس تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني، مطبعة الهادي، قم، ايران، ط1، 1420هـ.
39. كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة المحقق أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي ت 693هـ، دار المرتضى بيروت، ط1، 2006م.
40. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، العلامة علاء الدين علي المنقي بن حسام الدين الهندي المتوفي سنة 975هـ، مؤسسة الرسالة، ط5، 1405هـ، 1985م، بيروت، لبنان.
41. لؤلؤة البحرين، الشيخ يوسف بن أحمد البحراني، المتوفي سنة 1186هـ، ط1، 1429هـ، 2008م، مكتبة فخرآوي البحرين.
42. مجمع البيان، الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1، 1406هـ، 1986م.
43. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر بن سليمان الهيتمي المصري المتوفي سنة 807هـ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م،
44. محمد المثل الأعلى، توماس كارليل، تعريب محمد السباعي، مكتبة الآداب، القاهرة، 1993م.

45. المرجعية المتميزة، السيد أبو الحسن الأصفهاني أنموذجاً، الشيخ الدكتور عبد الله أحمد اليوسف، ط1، 1432هـ، 2011م.
46. مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، المتوفي سنة 346هـ، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط1، 1425هـ، 2005م.
47. المستدرك اعلى الصحيحين، الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1422هـ، 2002م.
48. مصنف بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، دار الفكر، سنة النشر: 1414هـ/1994م، كتاب الأمراء ج 7 ص 247 ح 4464
49. معالم المدرستين، العلامة السيد مرتضى العسكري، الناشر المجمع العلمي الاسلامي اشرف المنير للطباعة والنشر، ط6، 1994م.
50. معاني الأخبار، للشيخ ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق المتوفي سنة 381هـ، صححه الأستاذ علي أكبر الغفاري، ط6، مؤسسة النشر الاسلامي، قم ايران، 1431.
51. المعجم الأوسط، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (260-360هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن ابراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر، ط1، 1415هـ، 1995م القاهرة، مصر.
52. مقتل الحسين المسمى باللّهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني ت664هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط1، 1993م، 1414هـ.

53. موسوعة التاريخ الاسلامي، محمد هادي اليوسفي الغروي، طبعة مجمع الفكر الاسلامي، سنة 1429هـ.
54. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة مطبوعات اسماعيليان، قم، ايران، ط5.
55. نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة، بيروت، لبنان، ط2، 1413هـ، 1993م.
56. نهج البلاغة، الدكتور صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط4، 1425هـ، 2004م.
57. نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق الشيخ فارس الحسنون، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ايران، مطبعة ستارة، ط1، 1419هـ.
58. نهضة الحسين، هبة الدين الحسيني الشهرستاني، مكتبة الجوادين، سنة 1389هـ، 1969م.

المواقع الالكترونية:

1. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، مصدر الكتاب موقع الوراق.
2. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وثيقة حقوق دولية تمثل الإعلان الذي تبنته الأمم المتحدة 10 ديسمبر 1948 في قصر شايبو في باريس، موقع منظمة العمل الدولية الالكتروني.
3. تهذيب تفسير الجلالين، محمد بن لطف الصباغ، المكتبة الوقفية، ط1، 1427هـ، 2006م.
4. الجهاد والشهادة، سيرة الشهداء، شهداء الجمهورية الاسلامية، الموقع الالكتروني دار الولاية للثقافة والاعلام، 1 أغسطس 2007م.

5. الصراع بين الأمويين ومبادئ الاسلام.. نظرات في الكتب الخالدة - حامد حفني داود من كتاب للمؤلف الدكتور نوري جعفر ، شبكة الشيعة العالمية.
6. حلبة الأولياء وطبقات الأصفياء، حلبة الأولياء وطبقات الأصفياء، الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة الاسلامية على شبكة الاسلام.
7. الموقع الالكتروني العربي الجديد، أنظر ستون عاما على انطلاق حرب تحرير الجزائر، فرانس برس 31 أكتوبر 2014م.
8. الموقع الالكتروني للعتبة الحسينية المقدسة "الاعلام الدولي".
9. موقع شفقنا، من نص مقابلة أجراها أمين ناصر نشرت في موقع شفقنا في 13 يناير 2014 ونشرت في موقع وكالة نور الخيرية بتاريخ 14 يناير 2014.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	4
الفصل الأول- السير نحو طريق العشق الحقيقي	6
رحلة العشق للإمام (ع)	8
السير نحو الأمير	10
الشعور عند رؤية القبة الذهبية	13
مشهد الامام علي (ع)	15
نهج أهل البيت في القرآن والسنة	18
عداء الفكر الأموي لفكر علي (ع) وأهل بيته	26
الفصل الثاني-حياة حافلة بالعطاء	31
الولادة في الكعبة أولى الكرامات	32
الدعاء بمحاذاة الركن اليماني	34
نبوغ الامام علي (ع) منذ الطفولة	37
في غار حراء	38
سليل بني هاشم	41
في شعب أبي طالب	43

44	التضحية فداء للرسول
45	المؤاخاة بين محمد (ص) وعلي (ع)
46	الامام علي واسلام همدان
47	لو لا علي لم يكن كفو لفاطمة
49	علي مع القرآن
51	حب علي حسنة
54	من بليغ كلام الامام علي
56	الفصل الثالث- أ- الامام علي ومقارعة الظالمين
57	الهاشميون والأمويون-زعامة أم مبادئ؟
61	مقارنة بين نهج الامام علي (ع) في وصاياه لولاته ونهج خصومه
64	معاوية يلاحق أصحاب الامام علي (ع)
68	ب- شجاعة الامام علي (ع) وبطولاته
69	علي في غزوة بدر الكبرى
72	غزوة أحد
75	غزوة الأحزاب
77	يوم خيبر
80	الأصنام تتهاوى من على سطح الكعبة

حنين	82
هل كان الامام علي يطلب الحكم لذاته	88
الفصل الرابع-الحروب في خلافة الامام علي (ع)	90
معركة الجمل	91
معركة صفين	96
موقعة النهروان	103
الفصل الخامس-العدالة والحقوق عند الامام علي (ع)	105
مقارنة بين حقوق الانسان في القانون الدولي وحقوق الانسان عند الامام علي (ع)	106
الحروب بعد الاعلان العالمي لحقوق الانسان	112
القرآن الكريم والعدالة بين الناس	117
حقوق الانسان عند علي-عهده الى مالك الأشر	120
لن أطلب النصر بالجور	124
دنيا علي ودنيا غيره	129
الامام علي ومحاسبة الولاية	139
اهتمام الامام علي بالعامل وأجر العامل	143
الامام علي وتحريم الاحتكار	145

اهتمام الامام علي بالفقراء	146
الامام علي يحارب الطبقة والاستتار	148
الانتصار للمظلوم	150
الامام علي بنظر العظماء	152
علي يصف المتقين	162
التضرع والخشوع عند الامام	169
وصية الامام علي وهو على فراش الموت	175
الأعلام	178
المصادر	182
الفهرس	190